دلالات أعضاء الجسد
في ضوء القرآن الكريم
دراسة موضوعية

دكتور

هنيدي هنيدي عبد الجواد

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

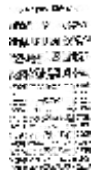

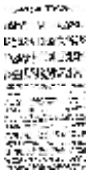

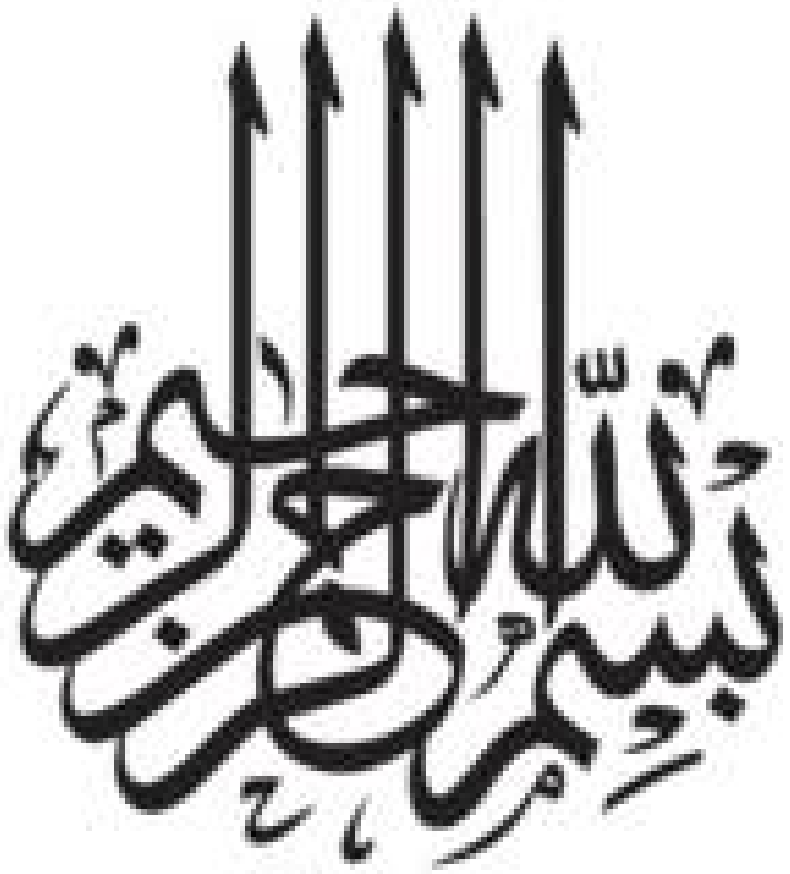

مقدمة

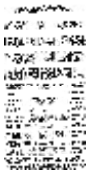

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، اللهم صل وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وبعد،،،،

فالمجتمع الإنساني قبل الإسلام كان بحاجة إلى منهج رباني، يُخرجه من ظلمات الكفر والشرك والجهل والظلم وكل الرذائل والأخلاق السيئة، إلى نور الإيمان والتوحيد والعلم والأخلاق الحسنة، والقيم الطيبة.

فأرسل الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا المنهج الرباني، ليُبلِغه للناس، ويقوم بتوصيل كل ما ورد في كتاب الله من عبادات وأحكام وأخلاق، بطريقة سهلة ميسورة، يفهمها المدعوون من أقرب طريق، لذلك نزل القرآن بلُغة القوم، وهي اللغة العربية، حتى يسهل فهمه، وما يحتويه من أنوار ربانية.

والله عز وجل في كتابه، عندما خاطب الناس، بتلك الأخلاق والقيم، استخدم فنونا متنوعة ومتعددة لتوصيل معاني القرآن الكريم إلى الناس، وهذا نوع من التشويق، والجمال، والتنويع، وحسن الأسلوب.

فتارة يُوصِل المعنى المراد إلى المخاطب عن طريق الألفاظ الصريحة، والتراكيب الواضحة، التي لا غموض فيها ولا التباس، وهو ما يُسمى بالتواصل اللفظي، وتارة يُوصِل المعنى إلى المخاطب عن طريق آخر غير الألفاظ والعبارات، وهي أعضاء الجسد، التي تُعطي معان كثيرة، وإشارات جميلة، وانطباعات عديدة، إلى ذهن وعقل المخاطب، وتُوصِل إليه المعنى دون التحدث بألفاظ كثيرة، أو بعبارات طويلة، وهو ما يُسمى بالتواصل غير اللفظي.

وقد اهتم القرآن اهتماما شديدا بهذا الجانب، وهو توصيل المعنى عن طريق أعضاء الجسد، فنجد القرآن يُوصل المعنى إلى المخاطب عن طريق الوجه، والعين، واللسان، واليد، والإشارة بها، والقلب، والأرجل، وكلها أعضاء لها دلالات ومعان كثيرة، تختلف باختلاف المواقف، والقرائن، والأحوال.

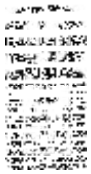

وهذا اللون من الخطاب، وهو استخدام أعضاء الجسد في توصيل المعنى، نوع من أنواع إعجاز القرآن، وبلاغته، وفصاحته، يُعطي للمعنى جمالا، وبريقا، إذ يُصور المعنى بصورة حسية متحركة ، وكأنها مشاهدة أمام المخاطب، عن طريق أعضاء الجسد.

ولأهمية هذا الموضوع آثرتُ أن أكتب فيه، حتى أُبرز ما في القرآن من إعجاز، وجمال، وتفنن في توصيل المعاني إلى المخاطبين، بصورة حسية متحركة، وبطرق متنوعة، وأساليب مختلفة، وقد قمت بتسمية هذا البحث: (دلالة أعضاء الجسد في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية).

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وتقديم، وثمانية مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر والموضوعات.

فأما المقدمة فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع، وأما التقديم: فقد قمت فيه بتعريف معنى الدلالة، والأعضاء، والجسد.

وأما الثمانية مباحث: فهي:

المبحث الأول: دلالة الوجه في ضوء القرآن الكريم .

والمبحث الثاني: دلالة العين في ضوء القرآن الكريم .

والمبحث الثالث: دلالة الرأس في ضوء القرآن الكريم .

والمبحث الرابع: دلالة اللسان في ضوء القرآن الكريم .

والمبحث الخامس: دلالة اليد في ضوء القرآن الكريم .

والمبحث السادس: دلالة الأصابع في ضوء القرآن الكريم .

والمبحث السابع: دلالة القلوب في ضوء القرآن الكريم .

والمبحث الثامن: دلالة الأرجل في ضوء القرآن الكريم.

وأما الخاتمة: فقد ذكرت فيها أهم النتائج والمقترحات التي توصلت إليها من خلال البحث.

ثم ذيلت البحث بفهرس للمراجع والمصادر، وآخر لموضوعات البحث.

****

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

تقديم

عند التأمل في عنوان البحث نلاحظ أنه يتكون من ثلاث كلمات، تحتاج إلى توضيح وتعريف، وهي الدلالة، وأعضاء، والجسد، فكان لابد من إلقاء الضوء على هذه الألفاظ الثلاثة بإيجاز، وإليك ما يلي:

تعريف الدلالة:

الدلالة لغة:

مصدر دلَّ يدل دلالة، بفتح الدال وهو أفصح، وروي بكسر الدال، وروي بضمها، والجمع: أدلة، وأدلاء، والاسم: الدّلالة بالكسر، والفتح، والدلولة، والدليلي.

والدلالة في الاصطلاح هي:

كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر.

وهذا هو أصح التعريفات التي قيلت؛ لأنه يدل على أن هناك تلازما بين الدال والمدلول، بحيث إذا فهم الدال فهم المدلول.

فالشيء الأول هو: الدال، والشيء الثاني هو المدلول، سواء كان هذا اللزوم عقليا أو عرفيا دائما أو غيره، وسواء كان كليا أو جزئيا.(١)

تعريف العضو:

يقول ابن منظور: " العُضْوُ والعِضْوُ هو كلُّ عَظْمٍ وافِرٍ بلَحْمه وجمْعُهما أَعضاءٌ". (٢)

تعريف الجسد :

---

(١) الْمُهَذَّبُ في عِلْمِ أُصُول الفِقْهِ الْمُقَارَن (تحريرٌ لمسائِلِه ودراستها دراسةً نظريَّةً تطبيقيَّةً)، ج٣، ص١٠٦٠.

(٢) لسان العرب، ج١٥، ص٦٨، مادة: عضا.

يقول ابن منظور: " الجسد جسم الإِنسان" [1].

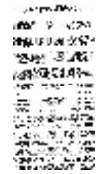

ومن خلال ما سبق يتبين أن أعضاء الجسد، تُعطي معانِ، ودلالات، ومفاهيم أخرى، فهي وسيلة من وسائل التعبير، والاتصال مع الآخرين، دون احتياج إلى ألفاظ، أو كثرة كلام.

وقد يحتاج الإنسان إلى وسائل الاتصال غير اللفظي، وهي أعضاء الجسد، في بعض المواقف التي يتعذر فيها استخدام التواصل اللفظي.

وإليك الحديث عن أهم دلالات أعضاء الجسد في ضوء القرآن الكريم في المباحث الآتية:

(١)المرجع السابق، ج٣، ص١٢٠، مادة: جسد.

المبحث الأول: دلالة الوجه في ضوء القرآن الكريم

١ــ قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١ بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١١٢﴾ [البقرة:١١٢]

دلالة التعبير بإسلام الوجه لله:

جاءت الآيات لبيان زعم اليهود والنصارى، وأمانيهم الباطلة، أن الجنة حِكر عليهم دون غيرهم من المسلمين، دون إقامة حجة أو برهان على زعمهم، فأبطل تعالى زعمهم، وقضى على أمانيهم، وذكر أن الجنة تكون لمن قصد الله تعالى بقلبه، وعقله، وروحه، وأعلن استسلامه وانقياده لطاعة الله وأوامره ونواهيه، وتكون نيته خالصة لوجه الله تعالى دون غيره، وذلك كما في قوله تعالى أيضا في مواضع أخرى من القرآن: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ [النساء:١٢٥] وقوله: ﴿۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٢٢﴾ [لقمان:٢٢]

يقول القشيري: " أسلم وجهه أي أخلص لله قصده، وأفرد لله وجهه، وطهر عن الشوائب عقله ". (١)

وقد عبر القرآن عن قصد العبد، ونيته، وإخلاص عبادته لله تعالى بالوجه، لأن هناك علاقة وطيدة بين النية والوجه، فالنية هي المحرك الأساسي لتوجهات الإنسان، وأفكاره، وسلوكه، فإن كان توجه العبد

(١) لطائف الإشارات، ج١، ص١١٤.

لطاعة الله وعبادته والإيمان به، دل ذلك التوجه على سلامة قصده ونيته، وإن كان متوجها للكفر بالله والإشراك به، دل ذلك على فساد قصده ونيته.

فيقول صاحب كتاب وظيفة الصورة الفنية في القرآن: " فالتصوير بالوجه عن الذات فيه حثّ على التوجه إلى الله، والإقبال عليه، والتطلع إلى ما عند الله، وهذه المعاني يناسبها الوجه دون غيره، لأنه يحتوي على الأجزاء الهامة في الإنسان".(١)

لذلك كان للتعبير بالوجه دلالة قوية على ما في القلب من إخلاص أو فساد، وبالتالي انقياد الجوارح أو تكذيبها، مما يدل على أهمية أعضاء الجسد في إبراز صفات أهل الجنة والنار.

****

٢ــ قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [البقرة: ١٤٤]

دلالة التعبير بتقلب الوجه:

جاءت الآية لتُبرز مدى رغبة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وشوقه وتطلعه إلى نزول الوحي، بخبر يحبه ويرضاه، وهو تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة.

ومن حسن أدب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه لم يتوجه إليه تعالى بكثرة الطلب والدعاء، إذ إن الله تعالى يعلم ما تخفي الصدور من حاجات ورغبات، ولكنه عبر عن رغبته بلُغة الجسد، دون دعاء أو

(١) وظيفة الصورة الفنية في القرآن، ج١، ص١١٠.

طلب، وهي لُغة سهله وميسرة، تُوصل المراد من أقرب طريق، فظل يُقلب وجهه ويُرِدده إلى السماء، متشوقا ومتطلعا لنزول الوحي بتحويل القبلة.

فكان للتعبير بتقلب الوجه دلالة واضحة على شوق النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى تحويل القبلة إلى الكعبة.

يقول الشيخ الصابوني مبينا دلالة التعبير بتقلب الوجه: " ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي كثيرا ما رأينا تردد بصرك يا محمد جهة السماء تشوقاً لتحويل القبلة". (١)

ويقول البيضاوي: " ﴿قَدْ نَرَىٰ﴾ ربما نرى ﴿تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي، وكان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقع في روعه ويتوقع من ربه أن يُحوله إلى الكعبة، لأنها قبلة أبيه إبراهيم، وأقدم القبلتين، وأدعى للعرب إلى الإيمان، ولمخالفة اليهود، وذلك يدل على كمال أدبه، حيث انتظر ولم يسأل". (٢)

****

٣ــ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران:١٠٧]

دلالة التعبير بالوجوه المبيضة والمسودة:

(١) صفوة التفاسير، ج١، ص٦١.

(٢) تفسير البيضاوي، ج١، ص٤٢٠.

جاءت الآيات في سياق الحديث عن أثر الأعمال على وجه الإنسان يوم القيامة، فالوجوه المسودة يوم القيامة هي التي اختلف أصحابها في الدنيا وتفرقوا فيما أُنزل عليهم من عند ربهم، فتكبروا وعاندوا وكفروا بالله بعد علمهم بالحق، فظهر أثر اختلافهم على وجوههم، لما يُحدثه الاختلاف والتفرق من كراهية وبغضاء وحقد داخل النفوس، فظهر السواد على وجوههم.

أما الوجوه المبيضة فهي التي آمن أصحابها بالله وبرسوله وبكل ما أُنزل عليهم، فاعتصموا بدين الله وتمسكوا به، دون اختلاف وتفرق، فانعكس ذلك على قلوبهم ونفوسهم فتراها مطمئنة مستقرة، يشعرون براحة النفس والضمير، فيظهر أثر ذلك على وجوههم يوم القيامة، فتراها مضيئة مبيضة، لما قدموا من أعمال صالحة في الدنيا.

يقول الدكتور وهبه الزحيلي: " ثمّ أوضح اللّه تعالى مصير الفريقين.. أمّا الذين اسودّت وجوههم بسبب تفرّقهم واختلافهم، فيوبخهم تعالى ويؤنّبهم بقوله: أكفرتم بالرّسول محمد بعد إيمانكم به، فقد كنتم على علم ببعثته، ولديكم أوصافه والبشارة به؟ ولكن كفرتم به حسدا وحقدا، فكان جزاؤكم أن تذوقوا العذاب بكفركم، وأمّا الذين ابيضّت وجوههم باتّحاد الكلمة وعدم التّفرق في الدّين، فهم خالدون في رحمة اللّه، أي ماكثون في الجنّة أبدا، لا يبغون عنها حولا". (١)

لذلك نجد مدى دلالة التعبير بالوجه على إبراز المعنى المراد في إيجاز وبلاغة، من إيضاح أثر الأعمال الصالحة والسيئة على وجه الإنسان، وما يتبعه من ثواب وعقاب يوم القيامة.

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج٤، ص٣٤.

وكذلك يوجد مواضع أخرى من القرآن تُشبه هذا الموضع ــ محل الدراسة ــ في إبراز أثر الأعمال السيئة من الكفر والشرك والتكبر والعناد وغيرها من المعاصي على وجه الإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧﴾ [يونس:٢٧]

فظهور السواد على وجه الكافر والذي هو كقطع الليل المظلم، يعكس مدى ارتجاف قلبه، خوفا من العقاب الشديد الذي ينتظره، لما قدمه في الدنيا من ذنوب ومعاصي.

لذلك أحسن ابن عاشور حين ربط بين المشاعر الداخلية للكافر، وبين أثرها على ملامح وجهه فيقول: " والقتر: لون هُوَ غُبْرَةٌ إِلَى السَّوَادِ، وَيُقَالُ لَهُ قَتَرَةٌ، وَالَّذِي تَخَلَّصَ لِي من كَلَام الْأَئِمَّة والاستعمال أَن القترة لَوْنٌ يَغْشَى جِلْدَةَ الْوَجْهِ مِنْ شِدَّةِ الْبُؤْسِ وَالشَّقَاءِ وَالْخَوْفِ، وَهُوَ مِنْ آثَارِ تَهَيُّجِ الْكَبِدِ مِنِ ارْتِجَافِ الْفُؤَادِ خَوْفًا وَتَوَقُّعًا". (١)

وكذلك قوله تعالى في موضع آخر ليُبين أثر نسبة الكذب إلى الله من الشرك والولد على وجه الكافر يوم القيامة: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ٦٠﴾ [الزُّمَر:٦٠]

يقول الدكتور وهبة الزحيلي: " ﴿ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ بنسبة الولد والشريك إليه، ﴿ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ ﴾ لما ينالهم من الشدة، ويعتريهم من الذل

(١) التحرير والتنوير، ج١١، ص١٤٧.

والحسرة، ﴿ مَثْوًى ﴾ مقام أو مأوى، ﴿لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ عن الإيمان والطاعة".(٢)

ولون الوجه يصبح علامة واضحة، تُميز الكافر من المؤمن يوم القيامة، فالبياض والنضرة والبهجة والسرور من ملامح وجوه المؤمنين، والسواد والكآبة والحزن والذلة من ملامح وجوه الكافرين والعصاة،

لذلك يقول ابن عاشور: " فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْوِدَادُ الْوُجُوهِ حَقِيقَةً جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَامَةً لَهُمْ وَجَعَلَ بَقِيَّةَ النَّاسِ بِخِلَافِهِمْ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ اسْوِدَادَ الْوُجُوهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَامَةً عَلَى سُوءِ الْمَصِيرِ كَمَا جَعَلَ بَيَاضَهَا عَلَامَةً عَلَى حُسْنِ الْمَصِيرِ".(١)

****

٤ــ قولــه تعــالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ [النحل:٥٨]

دلالة التعبير بسواد الوجه:

جاءت الآيات في سياق الحديث عن أنانية المشركين وحبهم لأنفسهم وسوء حكمهم، إذ جعلوا لله البنات ــ تعالى الله عن ذلك علوا كبيراــ ولهم الذكور، فأراد الله تعالى أن يُبرز حال المشركين عندما يُولد لهم من البنات، حتى يبين سوء حكمهم في نسبتهم لله ما يكرهون، كقوله تعالى في آية أخرى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الزُّخرُف:١٧]

(٢) المنير للزحيلي، ج٢٤، ص٤٢.

(١) التحرير والتنوير، ج٢٤، ص٤٩.

فإذا أُخبر أحدهم بولادة أنثى، حزِن حزنا شديا، وشعر بالغم والضيق والكرب، حتى إنه من شدة حزنه يختفي عن أعين الناس حتى لا يروه وهو في هذا الكرب الشديد.

وهذا الشعور الداخلي يظهر أثره على وجهه، فيتغير لونه، ويصبح أسودا من شدة الكآبة والحزن، إذ إن لون الوجه يعبر عما يدور بداخل الإنسان من إحساس ومشاعر.

فكان للتعبير عن حال المشركين عند ولادة البنات بسواد الوجه، دلالة قوية، أغنت عن كثرة الألفاظ والعبارات، إذ إن تغيير لون الوجه إلى السواد يُعبر عن مكنون الإنسان، وهذا ما جعل المشركين يختفون عن أعين الناس حتى لا يروا ملامح وسواد وجوههم، مما يدل على أن أعضاء الجسد لها دلالة قوية على إيصال المعاني إلى الآخرين.

فيقول الخازن مبينا علاقة ملامح الوجه بشعور الإنسان: " ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ يعني متغيرا من الغم والحزن والغيظ والكراهة التي حصلت له عند هذه البشارة، والمعنى أن هذا المشرك لا يرضى بالبنت الأنثى أن تُنسب إليه فكيف يرضي أن ينسبها إلى الله تعالى ففيه تبكيت لهم وتوبيخ". (١)

****

٥ــ قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُوٓءُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإسراء:٧]

(١) تفسير الخازن، ج٣، ص٨٢.

دلالة التعبير بالوجوه المساءة:

جاءت الآية لتُبين أن الجزاء من جنس العمل، ففي حالة إفساد بني إسرائيل في الأرض من قتل وذبح ونهب للثروات واعتداء على الأعراض والحرمات، تأتي العقوبة من عند الله تعالى، فعند إفسادهم الثاني في الأرض، يأتي العقاب من عنده تعالى، فيُسلط عليهم عدوهم، ليُهينوهم ويُحقروهم ويُدخلوا على قلوبهم الحزن والألم.

وكان من أثر الحزن والألم الذي يسري بداخل قلوبهم، أن تظهر المهانة والذل والكآبة والقهر على وجوههم، لما حاق ووقع بهم من هزيمة قوية وانكسار شديد، إذ إن الوجه يظهر عليه آثار الهزيمة من الذل والمهانة، فكان للتعبير بالوجوه المساءة أثر بالغ في كشف حال بني إسرائيل عند حلول العقاب بهم.

لذلك يقول الكرماني مبينا الحكمة من التعبير بالوجه عن الذات: " قوله تعالى: ﴿ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ ، يقال: سَاءَهُ يَسُوؤُه: أحزنه، والمعنى: ليُدخِلوا عليكم الحزن بما يفعلون من قَتلِكُم وسَبْيِكُم، وعُديَت المسَاءَة إلى الوجوه، أي: والمراد بها أصحابها لما يبدو فيها من أثر الحزن".(١)

ويبين الرازي علاقة المشاعر النفسانية بالوجه فيقول: " يقال : ساءه يسوءه أي أحزنه ، وإنما عزا الإساءة إلى الوجوه ، لأن آثار الأعراض النفسانية الحاصلة في القلب إنما تظهر على الوجه ، فإن حصل الفرح في القلب ظهرت النضرة والإشراق والإسفار في الوجه، وإن حصل الحزن والخوف في القلب ظهر الكلوح والغبرة والسواد في الوجه ،

(١) مفاتيح الأغاني، ج١، ص٢٤٥.

فلهذا السبب عزيت الإساءة إلى الوجوه في هذه الآية ، ونظير هذا المعنى كثير في القرآن".(٢)

****

٦ــ قوله تعالى: ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ ﴾ [طه:١١٢]

دلالة التعبير بعُنُو الوجوه:

جاءت الآيات لتُصور موقف القيامة، وما فيه من أهوال وخوف ووجل، وترقب وانتظار الحساب، في سكون وهدوء، وخضوع وخشوع، فلا تسمع إلا أصوات خفية، لانشغال الناس بأنفسهم ومصيرهم، الذي يكون إما إلى الجنة وإما إلى النار.

يقول الشنقيطي: " وَظَاهِرُ الْقُرْآنِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ الذُّلُّ وَالْخُضُوعُ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لِأَنَّ السِّيَاقَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَكُلُّ الْخَلَائِقِ تَظْهَرُ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَامَاتُ الذُّلِّ ، وَالْخُضُوعِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا". (١)

وهذه الرهبة تظهر على وجوه الناس، فتجدها خاشعة خاضعة ذليلة، لا حول لها ولا قوة، إذ الملك يوم القيامة لله الواحد القهار، لا أحد يتكلم ولا يشفع لغيره إلا بإذن الرحمن.

يقول القرطبي: " وَكَنَّى عَنِ النَّاسِ بِالْوُجُوهِ، لِأَنَّ آثَارَ الذُّلِّ إِنَّمَا تَتَبَيَّنُ فِي الْوَجْهِ". (٢)

---

(٢) تفسير الرازي، ج١، ص٢٧٧٨.

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٤، ص١٠١.
(٢) تفسير القرطبي، ج١١، ص٢٤٩.

لذلك عبر القرآن عن هول الموقف، وما يدور بداخل الإنسان من خوف ورهبة، بألفاظ بليغة وجيزة، وهي التعبير بعنو الوجوه، أي خضوعها وذلها، فعبر بالوجه عن الذات، إذ إن الوجه يظهر عليه ما يدور بداخل الإنسان من خوف ورهبة، مما يدل على أن لأعضاء الجسد لغة صامتة، ودلالة قوية على إيصال المعاني، وتصوير المواقف، وإخراج المشاعر، من رهبة وخوف، مما تعجز عنه الكلمات والألفاظ.

يقول الشيخ أبو زهرة: " ﴿ٱلْوُجُوهُ﴾ المراد به الذوات كلها، فالوجه يعبر به عن الذوات؛ لأن به المواجهة ". (١)

****

٧ــ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج:١١]

دلالة التعبير بالانقلاب على الوجه:

جاءت الآية لتُبين صنفا من الناس، لديهم عقيدة ضعيفة، وإيمان ليس راسخا في قلوبهم، تهزهم الشدائد والمصائب، وتُزعزع عقيدتهم وإيمانهم، فإذا أصابهم خير، وعافية، وأغدق الله عليهم المال، وعاشوا في رغد من العيش، اطمأنت نفوسهم، وآمنوا بالله ورسوله، وعبدوا الله حق عبادته.

وإن أصابتهم فتنة من ضيق العيش، والمرض، ونقص في الأموال والأنفس والثمرات، تبدلت أحوالهم، فارتدوا عن دينهم، وكفروا بالله ورسوله، وهؤلاء هم المنافقون.

(١) زهرة التفاسير، ج٩، ص٤٧٩١.

لذلك يقول الشيخ أسعد حومد: " وَهَذِهِ الآيَةُ تَنْطَبِقُ عَلَى المُنَافِقِ الذي إِنْ صَلَحَتْ لَهُ دُنْيَاهُ أَقَامَ عَلَى العِبَادَةِ ، وإِنْ فَسَدَتْ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ وَتَغَيَّرَت انْقَلَبَ كَافِراً فَلاَ يُقِيمُ عَلَى العِبَادَةِ إِلاَّ لِمَا صَلَحَ مِنْ دُنْيَاهُ ، فَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أَوْ شِدَّةٌ أَوْ ضِيْقٌ تَرَكَ دِيْنَهُ ، وَرَجَعَ إِلى الكُفْرِ ، وَارْتَدَّ عَنْ دِينِهِ". (٢)

وقد جسد الله عز وجل حال المنافقين المرتدين، ليُقربه إلى الأذهان، فشبه حال المرتد عن دينه بحال الذي يقف على حرف، وهو في حالة قلق واضراب، فإذا أصابته ريح خفيفه، سرعان ما يخر ساقطا على وجهه، فكذلك المنافق، يعيش في شك وقلق واضطراب، فعندما يصيبه ضُر أو مرض سرعان ما يرتد عن دينه، إذ إنه ليس لديه عقيدة راسخه، وإيمان قوي.

فكان في التعبير بالانقلاب على الوجه دلالة على ضعف العقيدة والإيمان، والشك والاضطراب، وسرعة الارتداد.

فيقول الشيخ أبو زهرة مبينا دلالة الصورة الجسدية: " وعبر سبحانه عن ردته بقوله: ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ وهذا التعبير فيه تشبيه حال المرتد عن دينه بحال من انقلب فوق وجهه فصار رأسه في أسفله، ورجلاه في أعلاه، أي تصويره بصورة شوهاء، شاه منظرها، وقبحت حقيقتها".(١)

فما أروع هذه الصورة الجسدية المتحركة، التي هي الانقلاب على الوجه، والتي تصور حال المنافقين دون شرح، أو ذكر أوصاف، فكانت بمثابة لغة صامتة، تُوصل معان كثيرة إلى الآخرين دون كلام، ودلالات قوية تعجز عنها العبارات الطويلة.

---

(٢) أيسر التفاسير، ج١، ص٢٥٠٤.

(١) زهرة التفاسير، ج٩، ص٤٩٥٢.

****

٨ــ قولــه تعــالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾ [الحج: ٧٢]

دلالة التعبير بالوجوه المنكره:

جاءت الآية لتُبين حال المشركين عند سماعهم لآيات القرآن، من التكذيب والجحود واللغو والاستهزاء والسخرية، فعبَر القرآن عن هذه الحال بملامح الوجه، وهو إنكار الوجوه، الذي يُعطي دلالات قوية على على ما يدور في قلوب المشركين من التكذيب والجحود دون شرح أو إطناب.

يقول الشوكاني: " ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾ أي الأمر الذي يُنكر وهو غضبهم وعبوسهم عند سماعهم، أو المراد بالمنكر الإنكار: أي تعرف في وجوههم إنكارها". (١)

إذ إن التعبير بإنكار الوجوه يدل على ظهور الإنكار والغضب والكراهية والبغضاء على وجوه المشركين، عند سماعهم آيات القرآن، فيقرأ الناس حالهم بمجرد النظر إلى ملامح وجوههم دون كثرة كلام، فكان تعبيرا بليغا وجيزا، أغنى عن أوصاف كثيرة، مما يدل على أن لأعضاء الجسد رسالة واضحة في توصيل الأفكار والأحوال والأوصاف إلى الآخرين.

فيقول القشيري مبينا حال المؤمنين والكافرين عند سماعهم لآيات القرآن وأثر ذلك على قلوبهم ووجوههم : " لسماع الخطاب أثر في

(١) فتح القدير، ج٣، ص٦٧٠.

القلوب من الاستبشار والبهجة ، أو الإنكار والوحشة، ثم ما تخامره السرائر يلوح على الأسرّة فى الظاهر، فكانت الآيات عند نزولها إذا تليت على الكفار يلوح على وجوههم دخان ما تنطوى عليه قلوبهم من ظلمات التكذيب ".(٢)

****

٩ــ قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح:٢٩]

دلالة التعبير بسيما الوجه:

جاءت الآية في سياق الحديث عن صفات أصحاب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ والتي من بينها أنهم يُكثرون من طاعة الله وعبادته ليل نهار، ويُداومون على إقامة الصلوات في خشوع وخضوع وتذلل لرب العالمين، مخلصين في عبادتهم، لا يقصدون إلا رضا الله وجنته، لا رياء ولا سمعة.

وكان لهذه الطاعة والعبادة أثر على وجوه الصحابة والمؤمنين، فترى النور يشع من وجوههم في الدنيا والآخرة، فيعلوها البياض والبهجة والسرور، حتى تصبح سمة وعلامة تُميز وجوههم عن وجوه غيرهم.

(٢) لطائف الإشارات، ج٢، ص٥٦١.

يقول الشوكاني: " ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ السيما العلامة..أي تظهر علامتهم في جباههم من أثر السجود في الصلاة وكثرة التعبد بالليل والنهار".(١)

فمن بلاغة القرآن الكريم التعبير بالوجه، إذ إنه يظهر عليه علامات تُميز بين المؤمن والكافر، فالمؤمن يُرى على وجهه النور من أثر الطاعة والعبادة وحسن السريرة، والكافر يُرى على وجهه الظلمة من أثر الشرك والمعاصي، فمجرد النظر إلى وجه الشخص تستطيع أن تميز بين وجه المؤمن وغيره، دون إطالة أو شرح أو إسهاب.

لذلك يقول ابن كثير مبينا أثر العلاقة الطيبة مع الله على الوجه: " والغرض أن الشيء الكامن في النفس يظهر على صفحات الوجه، فالمؤمن إذا كانت سريرته صحيحة مع الله أصلح الله ظاهره للناس". (١)

****

١٠ــ قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [المُلك:٢٢]

دلالة التعبير بانكباب الوجه أثناء المشي:

جاءت الآية في سياق الحديث عن حال المؤمن والكافر في الدنيا، فالمؤمن يشعر بالسكينة والطمأنينة والراحة، لأنه يؤمن بإله واحد ورب واحد، ويعبده ولا يشرك به أحدا، ويتقرب إليه بألوان العبادات والطاعات، فهو يسير على طريق مستقيم.

---

(١) فتح القدير، ج٥، ص٧٩.

(١) تفسير ابن كثير، ج٧، ص٣٦١.

أما الكافر فيعيش في حيرة من أمرة، وضلال، وعمى البصيرة، فلا يرى الحق والصواب، لتعدد آلهتهم وسبلهم.

فجاء القرآن ليُعبر عن هذه الحيرة والضلال بأسلوب بليغ، وألفاظ وجيزة، إذ إنه وصف حال الكافر في الدنيا بحال الشخص الذي يمشي ووجهه على الأرض، فهذا المشهد يصف الكافر بعدم الرؤية، والحيرة والضلال، والذل والمهانة.

لذلك يقول ابن كثير مبينا دلالة التعبير بمشي الكافر ووجهه على الأرض: " وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي مُكبّا على وجهه، أي: يمشي منحنيا لا مستويا على وجهه، أي: لا يدري أين يسلك ولا كيف يذهب؟ بل تائه حائر ضال، أهذا أهدى ﴿أَمَن يَمۡشِي سَوِيًّا﴾ أي: منتصب القامة ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٢﴾ أي: على طريق واضح بين، وهو في نفسه مستقيم، وطريقه مستقيمة، هذا مثلهم في الدنيا، وكذلك يكونون في الآخرة، فالمؤمن يحشر يمشي سوياً على صراط مستقيم، مُفض به إلى الجنة الفيحاء، وأما الكافر فإنه يحشر يمشي على وجهه إلى نار جهنم". (١)

لذلك نلاحظ مدى دلالة أعضاء الجسد على حال الكافر، وإيصالها المعاني والأوصاف إلى الآخرين بطريقة صامتة دون شرح أو إسهاب، وهذا من البلاغة القرآنية وتنويع الأسلوب في إيصال المعاني.

١١ــ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ٢٧﴾ [المُلك:٢٧]

دلالة التعبير بالوجوه المساءة:

(١) تفسير ابن كثير، ج٨، ص١٨١.

جاءت الآية لتُبين حال الكافرين ــ الذين أنكروا البعث ــ يوم القيامة، فعندما يُبعثون ويُخرجون من قبورهم ينتابهم حالة من الفزع والقلق والخوف، لعلمهم أنهم إذا بُعثوا من رقدتهم فإنهم سيقفون بين يدي الله عز وجل للحساب والجزاء والعقاب، وقد أنكروا ذلك وجحدوه في الدنيا.

وشعور القلب وإحساسه بالفزع والقلق ظهر على وجوههم، فتراها حزينة كئيبة مسودة، وقد جاء القرآن الكريم ليُصور ذلك الموقف بألفاظ وجيزة بليغة، دون إطناب وكثرة أوصاف، وهو وصف حالهم بإساءة الوجه، إذ إن التعبير عن حال المنكرين للبعث والحشر عند رؤيتهم له بإساءة الوجه، هو تعبير له دلالات قوية، ويحمل في مضمونه معان وأوصاف كثيرة، مما يدل على بلاغة القرآن الكريم.

يقول الزمخشري مبينا دلالة التعبير بالوجه: " ﴿سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي ساءت رؤية الوعد وجوههم ، بأن عليها الكآبة، وغشيها الكسوف والقترة ، وكلحوا ، وكما يكون وجه من يقاد إلى القتل أو يعرض على بعض العذاب ". (١)

وهذا يوضح مدى أهمية لغة الجسد في التعبير والكشف عن المعاني، وإيصالها للآخرين بطريقة سهلة وميسرة وموجزة، دون إسهاب وتطويل.

لذلك يقول صاحب الموسوعة القرآنية مبينا الحكمة من نسبة الأوصاف إلى الوجوه فيقول: " وقوله : ﴿سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ نُسب ذلك إلى الوجه من حيث إنه يبدو فى الوجه أثر السرور والغم". (١)

---

(١) الكشاف، ج٤، ص٥٨.

(٢) الموسوعة القرآنية، ج١، ص٣٣٩.

****

١١ــ قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [القيامة:٢٥]

دلالة التعبير بالوجوه الناضرة والباسرة:

جاءت الآيات في سياق الحديث عن أثر النعمة والنقمة على الإنسان يوم القيامة، وذلك من خلال عضو من أعضاء الجسد وهو الوجه، إذ إن الوجه يعكس الحالة الشعورية والنفسية التي يكون عليها الإنسان، فوجه المؤمن يعلوه الحسن والجمال والنضرة عندما يُنعم عليه بأعظم نعمة وهي لذة النظر إلى وجه الله تعالى، إذ إن وجه المحب يتهلل جمالا وسرورا عند النظر إلى وجه محبوبه، والوجه يعكس الحالة الشعورية التي يكون عليها المؤمن من ابتهاج القلب فرحا وسرورا عندما تتحقق له تلك النعمة.

يقول القشيري: " ﴿نَّاضِرَةٌ﴾: أي مشرقة حسنة ، وهي مشرقة لأنها ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ أي رائية لله".(٢)

وفي موضع آخر من القرآن جاء التعبير صراحة ليُبرز أثر النعمة على نفس المؤمن وهو يتقلب في نعيم الجنة، وانعكاس ذلك على وجهه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطفّفين:٢٨]

---

(١) تفسير القشيري، ج٨، ص٤.

يقول البغوي: " ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾، إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعمة مما ترى في وجوههم من النور والحسن والبياض". (١)

كما أن وجه الكافر يكسوه الحزن والعبوس والكآبة عندما يعلم بوقوع نقمة عليه، من عذاب شديد، وداهية عظمى تقصم ظهره، ومصيبة كبرى تحل به، فينتظرها وقد ظهر أثر ترقب حلول النقمة على وجهه، من الوجه العبوس الباسر الكالح، فيعكس الوجه الحالة الشعورية والنفسية التي يكون عليها الكافر من ضيق النفس وحزن القلب.

يقول البغوي: "﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾ عَابِسَةٌ كَالِحَةٌ مُغْبَرَّةٌ مُسْوَدَّةٌ، ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ تَسْتَيْقِنُ أَنْ يُعْمَلَ بِهَا عَظِيمَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، وَالْفَاقِرَةُ:

الدَّاهِيَةُ الْعَظِيمَةُ، وَالْأَمْرُ الشَّدِيدُ يَكْسِرُ فَقَارَ الظَّهْرِ". (٢)

فكان للتعبير بالوجه أثر بالغ في إبراز أثر النعمة والنقمة على الإنسان، إذ إن لغة الجسد توصل المعاني بيسر وسهولة وإيجاز، دون إطناب أو تطويل.

****

ـ قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [عبس: ٣٨-٤٢]

:دلالة التعبير بالوجوه المسفرة والمغبرة

عند التأمل في سياق الآيات نجد أنها جاءت لبيان حال الناس عند مجيء الصاخة، فالمؤمنون نفوسهم مطمئنة لعلمهم بما أعده الله لهم يوم

(٢) تفسير البغوي، ج٥، ص٢٢٦.

(١) المرجع السابق، ج٨، ص٢٨٥.

القيامة من النعيم المقيم والثواب الجزيل، فتشعر قلوبهم ونفوسهم بالفرحة والاطمئنان، فيظهر ذلك على وجوههم، فيعلوها النور والسرور والضحك، فهي وجوه مشرقة مضيئة، مصداقا لقوله: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس:٢٦]

أما المشركون يكونون في حالة من الذهول لإعادتهم وبعثهم بعد موتهم، إذ إنهم كانوا ينكرون البعث في الدنيا، فيشعرون بحالة من الفزع وضيق النفس، فيظهر ذلك على وجوههم فتعلوها الكآبة والحزن والسواد، لعلمهم بما قدموه في الدنيا من سوء العقيدة والعمل، ولما يرونه من هول الموقف، والعذاب الشديد الذي ينتظرهم، فهي وجوه كئيبة حزينة.

يقول ابن عاشور: " وَإِسْنَادُ الضَّحِكِ وَالِاسْتِبْشَارِ إِلَى الْوُجُوهِ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ، لِأَنَّ الْوُجُوهَ مَحَلُّ ظُهُورِ الضَّحِكِ وَالِاسْتِبْشَارِ، فَهُوَ مِنْ إِسْنَادِ الْفِعْلِ إِلَى مَكَانِهِ". (١)

فتعبيرات الوجه لغة صامته، لها دلالة قوية على حال الإنسان، وما يدور بداخله من فرح وسرور أو حزن وقلق واضطراب، دون كثرة كلام وطول بيان، وهذا من إعجاز القرآن الكريم وبلاغته.

لذلك يقول صاحب كتاب "من بلاغة القرآن": " لا عجب إذا أن تفصح الوجوه عما تحس به النفوس، وأن نرى وجوها تتلألأ ابتهاجا ونورا، ووجوها قد خبا ضوؤها، وأظلمت". (٢)

****

(١) التحرير والتنوير، ج٣٠، ص١٢٢.

(٢) من بلاغة القرآن، ج١، ص٢٢٤.

١٤ــ قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾ [الغاشية: ١٦]

دلالة التعبير بالوجوه الخاشعة والناعمة:

جاءت الآيات لتُبين موقف الناس يوم القيامة من أعمالهم التي قدموها في الدنيا، فأعمال الكافر تُصبح هباء، لا وزن لها ولا قيمة، فلا يُؤجر ولا يُثاب عليها، ولكنه يُعذب، لكفره بالله وبرسوله، عندئذ ينتاب الكافر حالة من الذهول والخشوع والذل والانكسار والهوان والسكون، ويشعر بالخيبة والخسران، لضياع أعماله التي بذل فيها جهدا ووقتا كثيرا، فجاء القرآن ليُصور هذا الموقف بأبلغ صورة، وهو التعبير بالوجوه الخاشعة الذليلة الساكنة المعذَبة والمحاطة بنار جهنم، إذ إن الوجه يظهر عليه ما يجيش بداخل النفس.

وهذا المعنى يظهر من خلال مواضع كثيرة من القرآن، كما في قوله: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠﴾ [إبراهيم: ٥٠]، وقوله: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ۝٩٧﴾ [الإسراء: ٩٧]، وقوله: ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٣٩﴾ [الأنبياء: ٣٩]، وقوله: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ۝١٠٤﴾ [المؤمنون: ١٠٤]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ

يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾ [الفرقان: ٣٤]، وقوله: ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النمل: ٩٠]، وقوله: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦]، وقوله: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر: ٤٨].

أما المؤمن يوم القيامة، يُثاب ويُؤجر على أعماله، فيجد النعيم المقيم والثواب الجزيل، فيشعر بحالة من الرضا، لما يراه من الجزاء والنعيم مقابل أعماله، وهذه الحالة النفسية يظهر أثرها على وجه المؤمن، فتراها ناعمة لينة، كناية عن الترف والنعيم الذي يتقلب فيه المؤمن في الجنة، جزاء لعمله الصالح.

يقول ابن عاشور: " وَأُوثِرَتِ الْوُجُوهُ بِالْكِنَايَةِ عَنْ أَصْحَابِهَا هُنَا وَفِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ لِأَنَّ حَالَةَ الْوُجُوه تنبىء عَنْ حَالَةِ أَصْحَابِهَا إِذِ الْوَجْهُ عُنْوَانٌ عَمَّا يَجِدُهُ صَاحِبُهُ مِنْ نَعِيمٍ أَوْ شَقْوَةٍ". (١)

ويقول صاحب كتاب " من بلاغة القرآن" مبينا الحكمة من التعبير بالوجوه: " قالوا إنه من إطلاق الجزء وإرادة الكل، فقد عبّر بالوجوه عن جميع الأجساد؛ لأن النصَب والتنعم حاصل لكلها، ولا أرى الذهن في حاجة إلى أن يفهم هنا من الوجه معنى الجسم؛ لأن النصب والنعمة يظهران أتم ظهور على الوجه". (٢).

وإتماما للفائدة، فإن تعدد أوصاف وجوه المؤمنين والكافرين يوم القيامة ليس من باب التكرار، وإنما هو من قبيل زيادة المعاني التي يدل

(١) التحرير والتنوير، ج٣٠، ص٢٩٥.

(٢) من بلاغة القرآن، ج١، ص١٧٢.

عليها كل وصف، وكذلك من قبيل تصوير جميع الحالات والمواقف التي يكون عليها المؤمنون والكافرون يوم القيامة، سواء أكان فيما يتعلق بلون الوجه، أو الهيئة التي تكون عليها وجوههم أثناء عذابها في نار جهنم، أو الحالة النفسية والشعورية التي يكونون عليها.

فوصف وجوه الكفار بالخشوع لإبراز حالة الذهول والسكون والذل والانكسار التي يكونون عليها، وكذلك وصفها بالمغبرة والمسودة لإبراز لون وجوههم وحالة الحزن والكآبة التي يكونون عليها.

أما وصف وجوه المؤمنين بالإسفار والنضرة لبيان الجمال والحسن، وإبراز حالتهم من الفرحة والسرور والبهجة، وكذلك وصف وجوههم بالنعومة يضيف معنى جديدا وهو لين البشرة، وذلك لتقلبهم في ترف ونعيم الجنة.

****

المبحث الثاني: دلالة العين في ضوء القرآن الكريم

١ــ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة: ٨٣]

دلالة التعبير بفيض العيون:

جاءت الآية في سياق الحديث عن طائفة من النصارى، كانوا يؤمنون بالله وبنبيهم عيسى عليه السلام، وبنبي الإسلام محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ إذ إنه مبشَّر به في الإنجيل، فيعلمون أنه حق، والقرآن حق.

ومن قوة إيمان تلك الطائفة أنهم كانوا يتأثرون تأثرا شديدا عند سماع القرآن الكريم، فترق قلوبهم، وتقشعر جلودهم، وتذرف أعينهم وتمتلئ بالدموع حتى تفيض من جوانبها، من كثرة الخشوع والتأثر.

لذلك يبين البيضاوي دلالة التعبير بفيضان العين فيقول: " ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ .. وهو بيان لرقة قلوبهم، وشدة خشيتهم، ومسارعتهم إلى قبول الحق، وعدم تأبيهم عنه، والفيض انصباب عن امتلاء، فوضع موضع الامتلاء للمبالغة، أو جعلت أعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بأنفسها ". (١)

فكان للتعبير بفيضان العين دلالة واضحة على مدى تأثرهم وخشوعم عند سماع آيات القرآن تُتلى على مسامعهم، فتلك العين هي العين الباكية المتأثرة الخاشعة، لذلك كانت هذه الصورة الجسدية أقوى وأبلغ في توصيل المعني من العبارت والألفاظ الكثيرة.

****

(١) تفسير البيضاوي، ج٢، ص٣٥٧.

٢ــ قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة:٩٢]

دلالة التعبير بفيض العيون:

جاءت الآية في سياق الحديث عن طائفة من المؤمنين، جاءوا إلى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في غزوة تبوك، ليُجاهدوا في سبيل الله، وهم مخلصون في نيتهم وعزيمتهم، فرفضهم النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ لقلة العتاد والخيل، فرجعوا من عنده وهم يبكون من شدة الحزن والألم، على ضياع الجهاد مع النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فسُموا بالبكائين.

ولشدة حزنهم، جاء القرآن ليُعبر عن هذا الحزن بصورة جسدية مؤثرة، وهو كثرة البكاء حتى نسب الفيضان إلى العين من كثرة الدموع، فكأن العين ممتلئة بالدموع حتى فاضت، فبكاء العين هنا للدلالة على الحزن والألم، فكان للجسد دور في توصيل المشاعر الدفينة إلى الآخرين، دون عبارات وألفاظ.

لذلك يقول صاحب كتاب وظيفة الصورة الفنية في القرآن: " وهناك طائفة من المؤمنين، لا يملكون نفقة الجهاد، وقد أذن لهم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يبقوا في المدينة، ولكنهم كانوا متألمين ومتأثرين لعدم خروجهم مع رسول الله، وقد جسّمت الصورة صدق نفوسهم وشدة تأثرهم بفيض الدموع..فهذه الصورة تعبر عن شدة التأثر والصدق حيث إن العين جُعلت كأنّ كلّها دمع فائض". (١)

(١) وظيفة الصورة الفنية في القرآن، ج١، ص٢٥١.

وقد جاء التعبير ببياض العين وبكاءها للدلالة على الحزن والألم في موضع آخر من القرآن الكريم، عندما ابيضت عينا يعقوب ــ عليه السلام ــ وضعف بصره، من شدة البكاء، والحزن، على فراق ابنيه يوسف وبنيامين، فازداد الوجع والألم، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾ [يوسف: ٨٤]

يقول الألوسي: " ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ ، أي بسببه، وهو في الحقيقة سبب للبكاء، والبكاء سبب لابيضاض عينه، فان العَبرة اذا كثرت محقت سواد العين، وقلبته إلى بياض كدر، فأقيم سبب السبب مقامه لظهوره". (١)

****

٣ــ قوله تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [هود: ٣١]

دلالة التعبير بازدراء الأعين:

جاءت الآية في سياق الحديث عن تمني المشركين أن يقوم سيدنا نوح ــ عليه السلام ــ بطرد الفقراء والضعفاء من المؤمنين الذين يؤمنون بالله ويُوحدونه ويصدقون برسوله، إذ إنهم في رأيهم هم أراذل القوم، وفقراءهم، وضعفاؤهم، ولا يمكن أن يجلسوا معهم في مجلس واحد، فينظرون إليهم نظرة احتقار وازدراء واستصغار.

(١) روح المعاني، ج١٣، ص٤٠.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: " ﴿ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ ﴾ الِازْدِرَاءُ: افْتِعَالٌ مِنَ الزِّرَايَةِ ، يُقَالُ : زَرَى عَلَى فُلَانٍ يَزْرِي زَرِيَّةً وَزِرَايَةً بِالْكَسْرِ، إِذَا عَابَهُ وَاسْتَهْزَأَ بِهِ ، وَأَزْرَى بِهِ إِزْرَاءً تَهَاوَنَ بِهِ ، أَيْ : وَلَا أَقُولُ فِي شَأْنِ الَّذِينَ تَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ نَظَرَ الِاسْتِصْغَارِ وَالِاحْتِقَارِ فَتَزْدَرِيهِمْ أَعْيُنُكُمْ لِفَقْرِهِمْ وَرَثَاثَتِهِمْ". (١)

والنظرة إليهم نظرة احتقار، تدل على ما تكنه قلوبهم وصدورهم من المرض والسواد، والعلو والتكبر، وقد ظهر هذا المرض على عيونهم، فلا ينظرون إليهم نظرة احترام وتقدير، لذلك جاء التعبير بنسبة الازدراء إلى الأعين للدلالة على نظرة الاحتقار، وإظهار ما تُخفيه قلوبهم المريضة تجاه ضعفاء المؤمنين وفقراءهم.

فالناظر إلى عيون المشركين يستطيع أن يكتشف نوع نظرات عيونهم المحتقرة، إذ إن نظرات العيون أنواع كثيرة، يستطيع الشخص أن يكتشف ما بداخل الإنسان من خلال نظراته، فهناك نظرة تدل على الاحتقار، ونظرة تدل على الاحترام، ونظرة تدل على الحب والحنان، ونظرة تدل على التهديد والتحذير، ونظرة تدل على الفرح، ونظرة تدل على الحزن، وغيرها.

لذلك كان من إعجاز القرآن الكريم استخدام لغة العيون التي تدل على معاني وإشارات عديدة، وهذه اللغة أبلغ من إيصال المراد بكثرة العبارات والألفاظ.

****

(١) تفسير المنار، ج١٢، ص٥٨.

٤. قوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الأحزاب: ١٩]

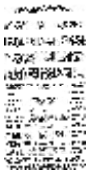

دلالة التعبير بدوران العيون:

جاءت الآيات لتصوير حال المنافقين، وبيان شعورهم، ودرجة إيمانهم، عندما يُدعون إلى جهاد المشركين وقتالهم، وقد صور القرآن حالهم بصورة بليغة، وهي صورة محسوسة، متحركة، يتخيلها القارئ وكأنها حاضرة أمامه، وذلك ليتعرف الناس على حالهم، بطريقة بليغة موجزة.

فهؤلاء المنافقون ينتابهم حالة من الخوف والجزع والهلع وفقدان الأعصاب والسيطرة على نفوسهم، عندما يُدعون إلى مقابلة العدو، وذلك يدل على مدى الجُبن وضعف الإيمان واليقين بالله تعالى، إذ إنهم آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم.

وجاءت الآيات لتُعبر عن هذا المعنى بألفاظ وجيزة، بليغة، وبهيئة محسوسة متحركة، مؤثرة في النفوس، وهي دوران العيون داخل الجفون، إذ إن دورانها يمينا وشمالا يدل على مدى القلق والاضطراب وانتظار شيئ مرعب مخيف، كدوران عين المحتضر أثناء سكرات الموت، انتظارا له، وخوفا منه.

يقول ابن عاشور: " فمعنى {تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ} أنها تضطرب في أجفانها كحركة الجسم الدائرة من سرعة تنقلها محملقة إلى الجهات المحيطة، وشبه نظرهم بنظر الذي يغشى عليه بسبب النزع عند الموت فإن عينيه تضطربان". (١)

---

(١) التحرير والتنوير، ج٢١، ص٢١٩.

ويقول القشيري: " إذا جاء الخوفُ طاشت من الرعبِ عقولهم ، وطاحت بصائرهم ، وتعطلت عن النصرة جميعُ أعضائهم ، وإذا ذهبَ الخوْفُ زيَّنوا كلامَهم ، وقدّموا خداعهم ، واحتالوا في أحقاد خِستهم . . أولئك هذه صفاتهم؛ لم يباشر الإيمانُ قلوبهم ، ولا صدقوا فيما أظهروا من ادعائهم واستسلامهم". (١)

وهناك من مواضع القرآن ما يشبه هذا المعنى كما في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾ [محمد: ٢٠]

****

٥ــ قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩]

دلالة التعبير بالعين الخائنة:

جاءت الآية لبيان سعة علم الله تعالى، وإحاطته بكل صغيرة وكبيرة يفعلها الإنسان في حياته، فلا تخفى عليه خافية وإن دقت وصغرت، سواء أكانت من أعمال الجوارح أم من أعمال القلوب، وسيحاسب الناس عليها يوم القيامة، وسيجزيهم بما كسبوا.

ومن بلاغة القرآن أنه تعالى عبر عن اطلاعه على ما دق وصغر من أعمال الجوارح بالنظرة الخائنة من العين، إذ إن النظرة الخائنة تُوصف بالخفاء والدقة والإشارة والبعد عن معرفة الناس بها، فإذا كان تعالى يعلم تلك النظرة الخفية فما بالك بأعمال الجوارح الأخرى الأكثر ظهورا؟

(١) تفسير القشيري، ج٦، ص٢٤٨.

وكذلك عبر عن أعمال القلوب بما تخفي الصدور، مما يدل على مدى سعة علمه تعالى.

والنظرة الخائنة وهي النظرة التي يسترقها صاحبها في خفية، من أجل غرض سيئ، كالنظر إلى المحرمات، والغدر، والقتل، والسخرية والاستهزاء وغيرها.

فيقول الدكتور عبدالكريم الخطيب مبينا مدى دلالة التعبير بالعين الخائنة على سعة علمه تعالى: " وقوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ هو تعليل لما فى الآية السابقة من وعيد للظالمين الذين أُنذروا بيوم القيامة، وما فيه من أهوال ، وأن الذي سيحاسبهم هناك هو اللّه سبحانه، الذي يعلم ما يبدون وما يكتمون، لا تخفى عليهم منهم خافية، ولا يردّ عنهم بأسه أحد ، ولا تقبل فيهم عنده شفاعة من أحد". (١)

ويذكر الماوردي سبب تسمية النظرة الخفية بخائنة الأعين فيقول: " وفي تسميتها خائنة الأعين وجهان: أحدهما : لأنها أخفى الإشارات فصارت بالاستخفاء كالخيانة، الثاني : لأنها باسترَاق النظر إلى المحظور خيانة".(٢)

وقد أحسن ابن عاشور حين ذكر أغراض النظرة الخائنة فقال: " وَالْمُرَادُ بِـ ﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ النظرة الْمَقْصُود مِنْهَا إِشْعَارُ الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ بِمَا يسوء غَيره الْحَاضِرِ اسْتِهْزَاءً بِهِ أَوْ إِغْرَاءً بِهِ". (٣)

(١) التفسير القرآني للقرآن، ج٢، ص٢١.
(٢) تفسير الماوردي النكت والعيون، ج٥، ص١٥٠.
(٣) التحرير والتنوير، ج٢٤، ص١١٦.

ويقول السمين الحلبي: " ﴿خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ﴾، أي لا يغمز بعينيه مشيراً لقتل أحدٍ ونحوه". (١)

****

٦ــ قوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الحِجر:٨٨]

دلالة التعبير بمد العين:

جاءت الآيات في سياق الحديث عن النعمة الكبرى التي منَ الله بها على نبيه محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهي نعمة القرآن الكريم، التي هي أعظم نعمة، ولا شيئ من حطام الدنيا أفضل من كتاب الله، لذلك جاء التحذير من قبل الله تعالى لنبيه، من الاغترار بالدنيا وحطامها، والنظر إلى ما في أيدي المشركين من زهرة الحياة الدنيا، ومتاعها، نظرة إعجاب، واهتمام، فقد منَ الله عليك بما هو أعظم من متاع الدنيا الزائل، وهو القرآن الكريم، فإن الله تعالى يُغدق عليهم النعم، مع كفرهم وجحودهم، حتي يفتنهم، فيأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

ومن جمال القرآن وإعجازه، أنه عبر عن هذا المعنى، وهو نظر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وإعجابه، وتطلعه إلى ما في أيدي المشركين من متاع الحياة الدنيا، بصورة حسية، حركية، تُضفي على المعنى بريقا، وجمالا، فكأن القارئ يشاهد المعني بطريقة محسوسة، وهو مد العين، وزيادتها، فمن شدة النظر والتطلع كأنه أخرج حبة عينيه إلى الأمام، فالتعبير بمد العينين دلالة على زيادة التطلع والنظر إلى زهرة الحياة الدنيا، كما في قوله تعالى أيضا في آية أخرى تشبه الآية التي معنا،

(١) عمدة الحفاظ، ج٤، ص٣١.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١]

فيقول صاحب كتاب وظيفة الصورة الفنية في القرآن: " والصورة المرسومة هنا ترسم الهيئة المصاحبة للاهتمام بالمتاع الزائل على سبيل المبالغة، لأن العين لا تمتد، وإنما يمتد البصر، ولكنّ الصورة جعلت العين نفسها هي الممدودة، زيادة في التخييل الحسي، والتصوير النفسي، لحالة الاهتمام الزائد على المألوف في المتاع الزائل، والغرض من المبالغة في هذا التصوير هو حثّ الرسول صلى الله عليه وسلم على ألا يحفل به، ولا يلتفت إليه". (١)

ويقول الشيخ أبو زهرة: " وعبر سبحانه عن الطموح إلى ما هم فيه والغرور به، عبر عن ذلك بمد العين؛ لأن هذا يسترعي النظر فكأن الأعين تمد إليه، ولا تنحرف عنه".(١)

****

****

****

(١) وظيفة الصورة الفنية في القرآن، ج١، ص١٤٥.

(٢) زهرة التفاسير، ج٨، ص٤١١١.

المبحث الثالث: دلالة الرأس في ضوء القرآن الكريم

١ ـــ قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم: ٤٣]

دلالة التعبير بإقناع الرأس :

جاءت الآية في سياق الحديث عن أحوال الظالمين يوم القيامة، عندما يُدعون إلى الوقوف بين يدي الله تعالى للحساب والجزاء، فيخرجون من القبور ، وهم في حالة من الخوف، والقلق، والذل، والانكسار، إذ إنهم كانوا في الدنيا ينكرون البعث، والحساب، والجزاء، ففوجئوا بقيامهم من رقدتهم، ففزعوا من العذاب الذي ينتظرهم.

وقد صور القرآن الكريم هذا الموقف، الذي يدل على خوف الظالمين وذلهم، بصورة حسية، حتى يتصورها القارئ ويتخيلها أمام عينية، فتُحدث أثرا قويا في النفوس، فتُقبل على الإيمان بالله وبرسوله، وهذه الصورة الحركية هي الإهطاع وهو الإسراع مع الخوف والذل، وكذلك إقناع الرأس وهو رفع الرؤوس أو خفضها مع الانكسار، مما يدل على إعجاز القرآن الكريم وبلاغته.

فيقول الشوكاني: " ﴿ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ﴾ أي رافعي رؤوسهم، وإقناع الرأس: رفعه، وأقنع صوته: إذا رفعه، والمعنى : أنهم يومئذ رافعون رؤوسهم إلى السماء ينظرون إليها نظر فزع، وذل، ولا ينظر بعضهم إلى بعض، وقيل: إن إقناع الرأس نكسه، وقيل: يقال أقنع: إذا رفع رأسه، وأقنع: إذا طأطأ، ذلة، وخضوعا، والآية محتملة للوجهين". [١]

(١) فتح القدير، ج٣، ص١٦٤.

ومما يشبه هذه الآية في وصف حال الظالمين والمجرمين يوم القيامة، من خفض الرؤوس، ذلة، ومهانة، قوله تعالى في موضع آخر: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة: ١٢]

****

٢ــ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَينْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾ [الإسراء: ٥١]

دلالة التعبير بإنغاض الرأس:

جاءت الآيات لتُبرز مدى تعجب المشركين، من إحياءهم من قبورهم بعد مماتهم، وإنكارهم للبعث، واستبعاده بعدما أصبحوا عظاما ورفاتا، ، فأخبرهم الله عز وجل عن مدى قدرته على إعادة خلقهم، حتى ولو صاروا حجارة أو حديدا، مما لم يُسبق لها الحياة.

وأمام هذه القدرة الإلهية، والعظمة الربانية، قام المشركون بالسخرية والاستهزاء عند سماعهم لقدرة الله تعالى على البعث، وجاء القرآن ليُصور هذه المشهد بطريقة حركية، محسوسة، ملموسة، يتخيلها كل قارئ لتلك الآيات في كل زمان ومكان، فعبر بإنغاض الرؤوس، وهي حركة الرأس من أسفل إلى أعلى أو العكس، كناية عن السخرية والاستهزاء، والاستبعاد، بدليل سؤالهم في لحاق الآيات سؤال تهكم: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ﴾.

يقول ابن عادل: " قوله تعالى : "﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ﴾، أي : يحرِّكونها استهزاء ، يقال : أنغض رأسه ينغضها ، أي : يحركها إلى فوق، وإلى أسفل إنغاضاً ، فهو منغضٌ". (١)

****

٣ــ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنبياء:٦٥]

دلالة التعبير بنكس الرؤوس :

جاءت الآية في سياق الحديث عن الحوار الذي دار بين سيدنا إبراهيم وقومه، عندما قام بتكسير الأصنام في غَيبتهم، فحققوا معه في هذا الفعل، فأراد سيدنا إبراهيم أن يُقيم الحجة عليهم، فيُقروا بأن تلك الأصنام التي يعبدونها من دون الله، لا تنفع ولا تضر، ولا تسمع ولا تتكلم، وهذا ما حدث أمام أعين الناس، وبذلك قد أقام عليهم الحجة، ولكنهم ظلوا معاندين، متكبرين، يُنكرون الحق بعد اعترافهم به، وإقرارهم أمام أعين الناس.

وقد جاءت الآية لتُعبر عن هذا المشهد بصورة بليغة، وهي صورة حركية، محسوسة، حتي يتخيلها القارئ، فيصل إليه المعنى بسهولة ويسر، كما أنه تعالى عبَر عن رجوعهم عن الحق بعد اعترافهم به، بصورة حركية، تشمئز منها النفوس، للتنفير منها، وهي صورة النكس على الرؤوس، وهي جعل أعلى الشيئ أسفله، وأسفله أعلاه، كالشخص الذي يقف على رأسه، مما يدل دلالة واضحة على أن نكس الرؤوس كناية عن رجوعهم عن الحق بعد اعترافهم به.

(١) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل، ج١٢، ص٣٠٦.

فيقول البيضاوي مبينا دلالة الحركة الجسدية: " ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾، انقلبوا إلى المجادلة، بعدما استقاموا بالمراجعة، شبَه عودهم إلى الباطل، بصيرورة أسفل الشيء مستعليا على أعلاه". (١)

****

٤ــ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥﴾ [المنافقون:٥]

دلالة التعبير بلَيِ الرؤوس :

جاءت الآية في سياق نُصح المنافقين وإرشادهم، من قبل جماعة من المؤمنين، حتى يعتذروا للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ عما بدر منهم من نفاق وكفر، فيتوبوا ويرجعوا ويثوبوا إلى ربهم، ولكنهم أعرضوا وعاندوا وتكبروا، فرفضوا قبول النصح والإرشاد.

وجاء القرآن ليُصور هذا الموقف في أبلغ صورة، فعبَر عن إعراض المنافقين بصورة حركية محسوسة، تُعبر عن مكنون المنافقين، وما يدور في صدورهم، من غل وحقد وتكبر وإعراض، وهي لَيِ الرؤوس، أي تحريك الرأس يمنة ويسرة بعيدا عن وجه المخاطب للدلالة على الإعراض والاستكبار، مما يدل على إعجاز القرآن في توصيل المعني إلى القارئ بصورة محسوسة، يتخيلها كأنما يراها أمام عينيه.

لذلك يقول الزمخشري: " ﴿لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ﴾ عطفوها وأمالوها إعراضاً عن ذلك واستكباراً ". (٢)

---

(١) تفسير البيضاوي، ج٤، ص١٠٠.

(٢) الكشاف، ج٤، ص٥٤٣.

المبحث الرابع: دلالة اللسان في ضوء القرآن الكريم

١. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران:٧٨]

دلالة التعبير بلَيِ الألسنة:

جاءت الآية لتُعبر عن صفات اليهود، من الكذب، والخداع، وتزييف الحقائق، وتبديل وتحريف كلام الله تعالى، فمن أفعالهم الشنيعة، أنهم كانوا يُحرفون التوراة، كذبا على المسلمين، حتى يخدعوهم ويشككوهم في إسلامهم، ودينهم، وقرآنهم.

ومن بلاغة القرآن الكريم أنه جاء ليُعبر عن تحريف التوراة، وكذب اليهود، بلفظ محسوس، مشاهد، وهو ليِ اللسان، تشبيها له بالشيء المحسوس، الذي يُلوى فيتحرك إلى اتجاه آخر، فكأنه أعرض عن الحق إلى الباطل، ومن الصدق إلى الكذب، ومن الصواب إلى الخطأ.

يقول القرطبي مبينا دلالة التعبير بلَيِ اللسان فيقول: " وَالْمَعْنَى يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ، وَيَعْدِلُونَ بِهِ عَنِ الْقَصْدِ، وَأَصْلُ اللَّيِّ الْمَيْلُ، لَوَى بِيَدِهِ، وَلَوَى بِرَأْسِهِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ ﴿٤٦﴾﴾ [النساء:٤٦]، أَيْ عِنَادًا عَنِ الْحَقِّ، وَمَيْلًا عَنْهُ إِلَى غيره". (١)

****

١ــ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور:٢٤]

دلالة التعبير بشهادة الألسنة:

(١) تفسير القرطبي، ج٤، ص١٢١.

جاءت الآية لتُعبر عن مسئولية الإنسان يوم القيامة، عما اقترفه في الدنيا من القذف والبهتان، إذ جاءت الآية في سياق الحديث عن قصة الإفك، واتهام أم المؤمنين، كذبا وبهتانا، فبين الله تعالى أن الأفواه ستُكمم يوم القيامة، حتى تنطق الألسنة وتتكلم بكل ما تفوهت به في الدنيا، فلا مجال للكذب يوم الحساب.

فشهادة الألسن على أصحابها، تدل على الاعتراف والنطق والتكلم بكل ما تفوه به اللسان في الدنيا، من قذف، وسب، وشتم، ورمي الناس بالباطل، إذ إن نطق أعضاء الإنسان على ما اقترفته في الدنيا، أبلغ في الزجر عن المعاصي في الدنيا، وتحقيق العدالة يوم القيامة.

يقول صاحب التفسير الواضح مبينا دلالة شهادة الألسن: " ولعل هؤلاء الناس يوم القيامة يُحاولون الإنكار والتنصل فيمنعهم اللّه من الإنكار ، ثم ينطق ألسنتهم ، وأيديهم ، وأرجلهم بما اقترفوا قطعا لعذرهم، وتنكيلا بهم، كل ذلك بسبب ما كانوا يعملون ، يومئذ يوفيهم اللّه دينهم الحق ، ويعطيهم جزاءهم كاملا عادلا، لا يزيد على جريرتهم ولا ينقص". (١)

****

قوله تعالى: " ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الأحزاب: ١٩]

دلالة التعبير بالألسنة الحداد:

جاءت الآية لبيان صفات المنافقين، وما حدث منهم في غزوة الأحزاب، من الكذب والجبن والخوف من لقاء العدو، وصد إخوانهم من المنافقين

(١) التفسير الواضح، ج٢، ص٦٦٩.

عن المشاركة في القتال مع النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ هذا في حال الخوف، أما في حال الأمن، فيُطلقون ألسنتهم بالسوء، والأذي، والسباب، تجاه المؤمنين، فالألسنة الحداد كناية عن الألسنة البذيئة، لذلك وُصفت بالحداد، تشبيها لها

بالحديد الذي يقطع الشيء الآخر ويؤذيه.

لذلك يقول الدكتور محمد سيد طنطاوي مبينا صفات المنافقين: " أي: أنهم عند الشدائد جبناء بخلاء ، فإذا ما ذهب الخوف وحل الأمان، سلطوا عليكم ألسنتهم البذيئة بالأذى والسوء، ورموكم بألسنة ماضية حادة، تُؤثر تأثير الحديد في الشئ ، وارتفعت أصواتهم بعد أن كانوا إذا ما ذُكر القتال أمامهم ، صار حالهم كحال المغشى عليه من الموت". (١)

****

****

****

(١) التفسير الوسيط للطنطاوي، ج١، ص٣٤٠٦.

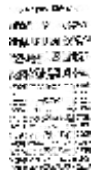

المبحث الخامس: دلالة اليد في ضوء القرآن الكريم

١ــ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المائدة: ١١]

دلالة التعبير ببسط وكف اليد :

جاءت الآية في سياق تذكير المؤمنين بنعم الله عليهم، حتى يشكروا الله، بالتقوى والتوكل عليه، ومن نعم الله عليهم، أنه حماهم ودفع عنهم أذى المشركين، الذين هموا بالقتل والاعتداء والبطش بالمؤمنين، وهو المراد ببسط الأيدي، ولكن الله تعالى حفظ المؤمنين، فرد أذى المشركين، وعدوانهم، وهو المراد بكف الأيدي.

ولما كانت الأيدي هي التي تباشر القتل والعدوان، وهي التي تمتنع عن أذى الآخرين، عبر بها، لتصوير المشهد بصورة حركية محسوسة، بليغة، تُضفي على المعنى رونقا وجمالا، فبسط اليد فيه دلالة على مدها تجاه الآخرين للبطش بهم، وكف اليد فيه دلالة على ضم اليد ومنعها من البطش بالآخرين.

يقول ابن عاشور: " وَبَسْطُ الْيَدِ مَجَازٌ فِي الْبَطْشِ... وَأَمَّا كَفُّ الْيَدِ فَهُوَ مَجَازٌ عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنِ السُّوءِ خَاصَّةً". (١)

ومما يشبه هذا المعنى من آيات القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾

(١) التحرير والتنوير، ج٦، ص١٣٨.

[المائدة:٢٨]، وقوله: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الممتحنة:٢].

****

٢ــ قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأعراف:١٤٩]

دلالة التعبير باليد:

جاءت الآية لتُعبر عن الندم والحسرة التي أصابت قوم موسى، بعدما صنعوا عجلا جسدا ، له صوت كصوت البقر، ليتخذوه إلها لهم، فوجدوه لا ينفع ولا يضر، فندموا أشد الندم، وتابوا ورجعوا إلى ربهم، إثر هذا الذنب العظيم الذي اقترفوه.

وقد جاء القرآن ببلاغته وفصاحته وإعجازه، ليُعبر عن الندم والحسرة، بأسلوب بليغ، مؤثر في النفوس، وهو السقوط في اليد، إذ إن الندم محله القلب، ثم يظهر أثره على اليد، مما يجعل النادم يعض يده، وكأنه وضع فاه، وأسقطه في يده، فانظر إلى هذه الصورة الحركية المحسوسة، ومدى تأثيرها على النفوس والقلوب.

ويبين الدكتور محمد سيد طنطاوي دلالة التعبير بالسقوط في اليد فيقول: " وعبر – سبحانه – عن شدة ندمهم بقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ ﴾ لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده غما، فتصير يده مسقوطاً فيها ، لأن فاه قد وقع فيها، وكأن أصل الكلام ولما سقطت أفواههم فى أيديهم ، أي ندموا أشد الندم". (١)

****

(١) التفسير الوسيط للطنطاوي، ج١، ص١٦٩٤.

٣ــ قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التوبة: ٢٩]

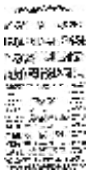

دلالة التعبير باليد:

تتحدث الآية عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى، الذين كانوا يعيشون في ظل حكم المسلمين، وما يجب على المسلمين تجاههم، من حمايتهم والدفاع عنهم، مقابل جزء من المال، وهو ما يُسمى بالجزية، فكانوا يدفعونها بأيديهم إلى المسلمين، وهم يشعرون بالذلة والمهانة، فلم يكن يدفعونها عن طيب نفس، وحب، وإنما كانت عن كراهية، وقهر، لانقيادهم واستسلامهم لحكم المسلمين.

فدفع المال باليد عن قهر، وكراهية، فيه نوع من الذل، وهو ما دل عليه التعبير باليد، وهي صورة حركية، محسوسة، تُشعر بالانكسار والخضوع والانقياد للمسلمين.

قال ابن منظور: " وقيل ﴿عَن يَدٍ﴾ أَي عن قَهْرٍ، وذُلٍّ، واسْتِسْلام، كما تقول اليَدُ في هذا لفلان، أَي الأَمرُ النافِذُ لفُلان". (١)

****

٤ــ قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾ ﴾ [الرعد: ١٤]

دلالة التعبير ببسط الكفين:

(١) لسان العرب، ج١٥، ص٤١٩، مادة: يدي.

جاءت الآية لتُصور حال المشركين الذين يجعلون لله أنـــدادا، فيعبـــدون الأصنام، ويتقربون إليها، ويعتقدون أنها تقربهم إلى الله يوم القيامة، مع أنها حجارة صماء، لا تنفع ولا تضر، ولا تستجيب لأحد، وهذا يدل علـــى مدى حماقة المشركين، وفقدان عقولهم.

فأراد الله تعالى أن يضرب مثلا، ليُبين ويُصور حقيقة الأصنام، في عـــدم استجابتها لدعاء المشركين واحتياجاتهم، وذلك كالماء الذي لا يســـتجيب للظمآن، عندما يمد يده، ويشير إليه من بعيد، طلبا له، ولكـــن هيهـــات هيهات، إذ إن الماء لا يشعر ولا يحس بالظمآن حتى يأتي إليه، فكـــذلك الأصنام لا تستجيب للداعي، لأنها صماء، لا تشعر ولا تحس بأحد، لذلك لا تنفع ولا تضر.

فانظر إلى هذه الصورة المتحركة، وهي بسط الكفين إلى المـــاء، كنايـــة عن طلبه والتي يتخيلها أي قارئ لتلك الآية، تجـــدها تُضـــفي جمـــالا، وروعة، على معنى الآية، وتُصبح أكثر تأثيرا في قلوب الناس، مما يدل على بلاغة القرآن، وإعجازه.

يقول الدكتور محمد سيد طنطاوي: " والمقصود من الجملة الكريمة نفي استجابة الأصنام لما يطلبه المشركون منها نفيا قاطعا ، حيث شبه – سبحانه – حال هذه الآلهة الباطلة عندما يطلب المشركون منها ما هم فى حاجة إليه ، بحال إنسان عطشان ولكنه غبي أحمق لأنه يمد يده إلى الماء طالبا منه أن يصل إلى فمه دون أن يتحرك هو إليه، فلا يصل إليه شئ من الماء، لأن الماء لا يسمع نداء من يناديه، ففى هذه الجملة

الكريمة تصوير بليغ لخيبة وجهالة من يتوجه بالعبادة والدعاء لغير الله – تعالى – ". (١)

****

٥ــ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾ [إبراهيم:٩]

دلالة التعبير باليد:

جاءت الآية لتسلية النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيما يتعرض له من أذى قريش، وتثبيت قلبه، وذلك بذكر ما تعرض له الأنبياء السابقون من قومهم المشركين، من أذى، وتكذيب، وكفر، وعناد، ومن بين ما فعله المشركون تجاه رسلهم، كما حكاه القرآن في تلك الآية، أنهم ازدادوا غيظا وحنقا على رسلهم، بمجيئهم بالرسالات والكتب السماوية.

إذ إن الكتب السماوية، تعيب على أصنامهم، وتسفه أحلامهم، وتزدري عقولهم، فيزدادوا غيظا، وقد جاء القرآن ليُعبر عن الغيظ، بمعنى حركي محسوس، مؤثر في النفوس، وهو وضع أصابع اليد في أفواههم، وهي عادة عربية تدل على الغيظ، إذ إن القلب لما امتلأ غيظا، ظهر أثر ذلك على الجوارح، فما أجمل أسلوب القرآن الكريم وتعبيراته!!

يقول الشنقيطي : " اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ، فَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مَعْنَاهَا أَنَّ أُولَئِكَ الْكُفَّارَ جَعَلُوا أَيْدِيَ أَنْفُسِهِمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ؛

(١) التفسير الوسيط للطنطاوي، ج١، ص٢٣٧١.

لِيَعَضُّوا عَلَيْهَا غَيْظًا وَحَنَقًا لِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ ؛ إِذْ كَانَ فِيهِ تَسْفِيهُ أَحْلَامِهِمْ ، وَشَتْمُ أَصْنَامِهِمْ ". (١)

****

٦ــ قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء:٢٩]

دلالة التعبير باليد:

جاءت الآية في سياق الحديث عن وسطية الإسلام واعتداله في الإنفاق، وإيصال الحقوق إلى أصحابها، بدون إسراف وتبذير، أو شح وتقتير، وهذان الطرفان مذمومان، نهى عنهما القرآن، ونفَر منهما، وقد جاء القرآن ليُصور هذين الطرفين بصورة محسوسة، ملموسة، متحركة، يراها الناس بأعينهم رأي العين، فيُدركوا معناها، فيتركوها، ويبتعدوا عنها.

ولما كانت اليد هي مصدر العطاء والإمساك، صور بها الطرفين المذمومين، فعبر عن البخل بصورة مُنفِرة، وهي جعل اليد مُقيدة في العنق، لا تقدر على تحريكها للإعطاء بها، وكذلك عبر عن الإسراف والتبذير ببسط اليد، وهي صورة مُنفرة، إذ إن الشخص الذي يبسط يده ويمدها، لا يبقى فيها شيء، فيمكث حزينا نادما.

فالتعبير بشيء محسوس، وهو عضو من أعضاء الجسد، وهو اليد، للدلالة على البخل والإسراف، يدل على مدى إعجاز القرآن، وبلاغته.

يقول صاحب كتاب من بلاغة القرآن مبينا دلالات التعبير باليد في تلك الآية، وتأثيرها في النفوس: " ألا ترى أن التعبير عن البخل باليد

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٢، ص٢٤٢.

المغلولة إلى العنق، فيه تصوير محسوس لهذه الخلة المذمومة في صورة قويّة بغيضة منفرة، فهذه اليد التى غلّت إلى العنق لا تستطيع أن تمتد، وهو بذلك يرسم صورة البخيل الذى لا تستطيع يده أن تمتد بإنفاق ولا عطية، والتعبير ببسطها كل البسط يصوّر لك صورة هذا المبذر الذى لا يبقى من ماله على شىء، كهذا الذى يبسط يده، فلا يبقى بها شىء، وهكذا استطاعت الكناية أن تنقل المعنى قويّا مؤثرا". (١)

ويقول ابن عاشور: " وأما البلاغة فبتمثيل الشح والإمساك بغل اليد إلى العنق، وهو تمثيل مبني على تخيل اليد مصدرا للبذل والعطاء، وتخيل بسطها وغلها شحا، وهو تخيل معروف لدى البلغاء والشعراء". (٢)

ومما يشبه الآية التي هي محل الدراسة قوله تعالى في سور أخرى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة: ٦٤] ، وقوله: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة: ٦٧]

****

٧ــ قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ [الكهف: ٤٢]

دلالة التعبير بتقليب الكفين:

(١) من بلاغة القرآن، ج١، ص١٧٣.

(٢) التحرير والتنوير، ج١٤، ص٦٨.

جاءت الآية في سياق الحديث عن صاحب الجنتين، وما حكاه القرآن عنه، من كفره بالله، وإنكاره البعث، واغتراره بالمال والولد، فكان العقاب من عند الله، بأن أهلك الله تعالى جنتيه، وما فيهما من ثمر، فلما أصبح ورأي جنتيه، وما حاق بهما من الدمار، والهلاك، ندم أشد الندم، على الجهد الذي بذله فيهما، والمال الذي أنفقه عليهما، وتمنى أن لو كان موحدا بالله ولم يشرك به أحدا.

وقد جاء الأسلوب القرآني، ليُعبر عن الندم والحسرة بصورة متحركة، ومشهد يُوصل المعنى إلى القارئ دون كثرة كلمات وعبارات، فبمجرد أن يتخيل القارئ تلك الحركة وهي تقليب الكفين، وجعل الظاهر باطنا، والعكس، يصل المعنى إليه بيسر وسهولة، في إيجاز بليغ، ونظم بديع.

يقول أبو السعود: " فأصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن، وهو كناية عن الندم، كأنه قيل: فأصبح يندم على ما أنفق فيها، أي في عمارتها من المال". (١)

ومن الحركات الجسدية المعبرة، والتي تدل على الندم أيضا، وهي عض الظالم على يديه يوم القيامة، ندما وحسرة، على ما فرَط في حق الله تعالى، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفرقان:٢٧]

****

٨ــ قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾ [مريم:٢٩]

دلالة التعبير بالإشارة:

(١) تفسير أبو السعود، ج٥، ص٢٢٣.

جاءت الآية في سياق الحديث عن مريم ــ عليها السلام ــ واتهام قومها لها، عندما فاجأتهم بطفل رضيع، وهو عيسى ــ عليه السلام ــ مع أنها لم يسبق لها الزواج، ففزع قومها واندهشوا، من جراء تلك المصيبة، فأرادت مريم البتول أن تُفحمهم، وتنهي هذا الشك، فأشارت بيدها إلى طفلها، إيماء منها إلى قومها حتى يُكلموه، ويسمعوا منه الإجابة الشافية الكافية.

والإشارة باليد هنا لها دلالتها، ومفهومها، وهو توجيه وإرشاد قومها إلى تكليم الطفل الرضيع، والسماع منه، في الوقت الذي لا تستطيع الكلام فيه مع قومها، إذ إنها نذرت الصوم عن الكلام مع أي إنسي، فأدت الإشارة باليد الغرض المطلوب في هذا المقام.

فيقول ابن أبي زمنين مبينا دلالة الإشارة باليد نقلا عن قتادة: " ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ بِيَدِهَا قَالَ قَتَادَةُ: أَمَرَتْهُمْ بِكَلَامِهِ". (١)

****

٩ــ قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾﴾ [ص:٤٥]

دلالة التعبير باليد:

جاءت الآية في سياق الحديث عن ثناء الله تعالى على أنبياءه، وما تميزوا به من الحرص على الطاعة والعبادة والصبر على تحمل الأذى، ومنهم أنبياء الله إبراهيم وإسحق ويعقوب، الذين وصفهم الله تعالى، بالقوة في الدين والطاعة والعبادة، وقوة البصيرة والفكر.

(١) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين، ج٣، ص٩٤.

وقد جاء النظم القرآني ليُعبر عن هذا المعني بأسلوب بلاغي، بديع، مؤثر في نفوس القراء، والسامعين، فعبر عن القوة في الدين باليد، فاليد تدل على القوة، إذ إن اليد هي مصدر العمل، والحركة، لذلك عبر عن القوة بجارحة اليد، تعبيرا مجازيا، وهذا أمر شائع في لغة العرب.

يقول الرازي: " واعلم أن اليد آلة لأكثر الأعمال، والبصر آلة لأقوى الإدراكات ، فحسن التعبير عن العمل باليد، وعن الإدراك بالبصر، إذا عرفت هذا فنقول النفس الناطقة الإنسانية لها قوتان عاملة وعالمة ، أما القوة العاملة فأشرف ما يصدر عنها طاعة الله ، وأما القوة العالمة فأشرف ما يصدر عنها معرفة الله". (١)

ويقول ابن منظور: " والعرب تقول ما لي به يَدٌ، أَي ما لي به قُوَّة، وما لي به يَدانِ، وما لهم بذلك أَيْدٍ أَي قُوَّةٌ". (٢)

****

١٠. قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [الذاريات:٢٩]

دلالة التعبير بصك الوجه :

جاءت الآية للحديث عن حال زوجة سيدنا إبراهيم، عند سماعها البشرى من الملائكة، وهي الرزق بمولود، وكيف قابلتها وهي عجوز عقيم؟، إنها كانت في حالة من التعجب والاندهاش، فكيف بامرأة كبيرة، وعقيم، تلد، وتُرزق بمولود.

(١) تفسير الرازي، ج١، ص٣٨١٧.

(٢) لسان العرب، ج١٥، ص٤١٩.

وقد عبرت الزوجة عن تعجبها بحركة جسدية، وهي الضرب بيديها على وجهها، وهي عادة من عادات النساء، يفعلنها عند التعجب من شيء غريب، وهذه الحركة تدل على المعنى المراد دون تطويل أو إطناب.

لذلك يقول ابن عاشور: " وَالصَّكُّ: اللَّطْمُ، وَصَكُّ الْوَجْهِ عِنْدَ التَّعَجُّبِ عَادَةُ النِّسَاءِ أَيَامَئِذٍ". (٣)

(٣) التحرير والتنوير، ج٢٦، ص٣٦٠.

المبحث السادس: دلالة الأصابع في ضوء القرآن الكريم

١ــ قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ [البقرة: ١٩]

دلالة التعبير بالأصابع:

جاءت الآية، تضرب مثلا محسوسا مشاهدا، تبرز فيه صفات المنافقين، وما يتسمون به من الخوف والجبن في المجتمع، كالشخص الذي يضع أنامله في أذنه، خوفا من الصواعق، ومن المطر المختلط بالظلمات والرعد والبرق.

وقد عبَر عن خوفهم وجبنهم بحركة محسوسة، ملموسة، يتخيلها كل من قرأ الآية، وهي وضع الأصابع في الأذن، وهذه الحركة أوصلت المعنى إلى القرَاء بطريقة سهلة دون إطناب، أو تطويل، وهذا يدل على مدى إعجاز القرآن وبلاغته.

يقول البقاعي: " ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ﴾ أي بعضها، ولو قدروا لحشوا الكل، لشدة خوفهم". (١)

****

٢ــ قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُولَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ۖ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ [آل عمران: ١١٩]

دلالة التعبير بعَض الأنامل:

(١) نظم الدرر، ج١، ص٤٧.

جاءت الآية في سياق الحديث عن صفات المنافقين، من الحقد والغيظ الذي يملأ قلوبهم وصدورهم، على ظهور المؤمنين، وكثرتهم، وقوتهم، ومن شدة جُبن المنافقين، أنهم يُظهرون الإيمان أمام المسلمين، ويُبطنون الكفر والغيظ أمام أنفسهم.

وقد جاء القرآن ليُعبر عن غيظهم، بصورة حسية، متحركة، تعمل على إيصال معانٍ كثيرة، من خلال صورة موجزة، وهي عض الأنامل من شدة الغيظ، وهذا يدل على ما يدور داخل صدورهم وقلوبهم، من مشاعر الحقد والحسد، التي تظهر على أجسادهم، فهي صورة بليغة مؤثرة.

يقول ابن عاشور مبينا دلالة التعبير بعضِ الأنامل: " وعض الأنامل كناية عن شدة الغيظ والتحسر، وإن لم يكن عض الأنامل محسوسا، ولكن كني به عن لازمه في المتعارف، فإن الإنسان إذا اضطرب باطنه من الانفعال صدرت عنه أفعال تناسب ذلك الانفعال". (١)

****

٣ــ قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾ [نوح:٧]

دلالة التعبير بجعل الأصابع في الآذان:

جاءت الآية لتُبين مدى العناد والتكبر الذي قُوبلت به دعوة سيدنا نوح ــ عليه السلام ــ لقومه، وأنه كلما أصر على دعوتهم، وهدايتهم، أصروا على رفضهم، وعنادهم، وتكبرهم.

وقد جاءت الآية لتُصور الرفض والعناد بصورة بليغة، محسوسة، متحركة، مؤثرة في النفوس، تعمل على إيصال معنى العناد والتكبر إلى

(١) التحرير والتنوير، ج٣، ص٢٠٢.

القارئ بسهولة ويسر كلما تخيل تلك الصورة، وهي وضع الأصابع في الآذان، حتى لا يصل إلى أسماعهم شيء من دعوة نوح ــ عليه السلام ــ وهي صورة أبلغ من التعبير بألفاظ العناد والتكبر.

يقول الشنقيطي مبينا دلالة التعبير بجعل الأصابع في الأذان: " فَقَوْلُهُ – تَعَالَى – : ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ﴾ يَدُلُّ دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى شِدَّةِ بُغْضِهِمْ وَكَرَاهَتِهِمْ لِمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ نُوحٌ ، فَهُوَ وَاضِحٌ فِي أَنَّهُمْ كَبُرَ عَلَيْهِمْ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ".[1]

******

****

****

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٧، ص٦٢.

المبحث السابع: دلالة القلوب في ضوء القرآن الكريم

١. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة: ٧٤]

دلالة القلب في هذه الآية:

جاءت الآية لتُبين جحود بني إسرائيل، وكفرهم، وعنادهم، وقسوة قلوبهم، ورفضهم الحق بعد ما تبين لهم، من ظهور المعجزات الحسية أمام أعينهم، وإحياء الموتى بعد ذبحهم البقرة، ومع ذلك لم يثوبوا أو يرجعوا إلى ربهم، لتحجُر قلوبهم، وقسوتها، إذ إن القلوب القاسية لا تقبل موعظة، ولا نُصح، ولا إرشاد، وتلك هي طبيعة القلوب القاسية.

يقول الدكتور محمد سيد طنطاوي: " وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ﴾، بيان لما طرأ على قلوب بني إسرائيل من بُعد عن الاعتبار ، وعدم تأثر بالعظات، وإعراض عن الإنابة والإذعان لآيات الله وتحلل من المواثيق التي أقروا بها على أنفسهم". (١)

****

٢ــ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨]

دلالة القلب في هذه الآية:

جاءت الآية في سياق الحديث عن صفات المنيبين إليه تعالى، المؤمنين به، ومن بين صفاتهم أنهم يملكون قلوبا مطمئنة، تشعر بالسكينة

(١) التفسير الوسيط للطنطاوي، ج١، ص١٢٤.

والراحة، والهدوء، والوقار، دون قلق واضطراب، وذلك لمداومتهم على ذكر الله تعالى، بألسنتهم، وقلوبهم، وقراءة القرآن، وطاعته تعالى.

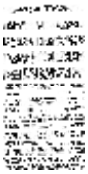

فلما كان الإنسان يعيش بعقله وفكره وجوارحه في طاعة الله، وروحانيات دينه، كانت الثمرة اطمئنان القلب، وسكونه، فهذا هو القلب المطمئن.

يقول القرطبي: " ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أَيْ تَسْكُنُ وَتَسْتَأْنِسُ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ فَتَطْمَئِنُّ". (١)

****

٣ــ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج:٣٢]

دلالة القلب في هذه الآية:

جاءت الآية لحث المسلمين على تعظيم دين الله، واحترامه، وما فيه من أوامر، وطاعات، وعبادات، ومناسك، واجتناب نواهيه، بحيث يشعر القلب بالهيبة والوقار والخشوع والتفكر وهو يؤدي شعائر هذا الدين، فلا ينشغل القلب بملذات الدنيا وشهواتها عن تعظيم شعائر الله، وهذا لا يكون إلا من أصحاب القلوب التقية الورعة، فهذا هو القلب التقي.

يقول أبو السعود مبينا أثر القلوب التقية على سائر الأعضاء من تعظيم الشعائر: " فإن تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب، أي من أفعال ذوي تقوى القلوب..أو فإن تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب، وتخصيصها

(١) تفسير القرطبي، ج٩، ص٣١٥.

بالإضافة لأنها مراكز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت، ظهر أثرها في سائر الأعضاء". (١)

****

٤ــ قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٧]

دلالة القلب في هذه الآية:

جاءت الآية لتُبين صفات المؤمنين الذين يعمرون مساجد الله، وذكر من بين صفاتهم أنهم يعدون العُدة ليوم الحساب، فيُكثرون من الأعمال الصالحة في الدنيا، تقربا إلى الله تعالى، خوفا من فزع وهول هذا اليوم، الذي تتحرك فيه القلوب، وتضطرب، من شدة هول الموقف، وهذه هي القلوب المتقلبة.

لذلك يقول ابن عاشور: " وَتَقَلُّبُ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ: اضْطِرَابُهَا عَنْ مَوَاضِعِهَا مِنَ الْخَوْفِ وَالْوَجَلِ كَمَا يَتَقَلَّبُ الْمَرْءُ فِي مَكَانِهِ..وَالْمَقْصُودُ مِنْ خَوْفِهِ: الْعَمَلُ لِمَا فِيهِ الْفَلَاحُ يَوْمَئِذٍ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ﴿٣٨﴾﴾ [النور:٣٨] ". (٢)

****

٥. قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾﴾ [الأحزاب:١٠]

دلالة القلب في هذه الآية:

---

(١) تفسير أبو السعود، ج٦، ص١٠٦.

(٢) التحرير والتنوير، ج١٨، ص٢٤٩.

جاءت الآية لتُبين حال المؤمنين في غزوة الأحزاب، عندما أحاط بهم العدو من كل جانب، حتى شعروا باليأس والخوف والقلق، ومن بلاغة القرآن أنه صور إحساس وشعور المؤمنين بالخوف بألفاظ تُضفي لمسة جمالية على الآية والقراءة.

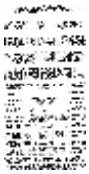

فعبر عنها ببلوغ القلوب الحناجر، أي أن القلوب في حالة حركة وقلق واضطراب، حتى كادت أن تصل إلى الحناجر ثم إلى الأفواه، كناية عن الرهبة والخوف، ما أجمل القرآن في اختيار ألفاظه وعباراته، فتلك هي القلوب الخائفة.

يقول صاحب كتاب من بلاغة القرآن: " ألا ترى أن هذا الوصف الدقيق لنفسية المؤمنين وقد أحيط بهم، وهذا الوصف الموحي المصور، المؤذن بأن اليأس من النجاة، كاد يستولى على النفوس". (١)

****

٦. قوله تعالى: " ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥ ﴾ [غافر:٣٥]

دلالة القلب في هذه الآية:

تتحدث الآية عن موقف الأمم السابقة من دعوة رسلهم إلى التوحيد، ومقابلتهم بالكفر، والكذب، والعناد، وكثرة الجدل بدون علم، وهذا لا يحدث إلا لفساد قلوبهم، وتكبرها، وتجبرها، فمن المعلوم أن القلب هو ملك الأعضاء، فإذا امتلأ القلب بالتكبر، ظهر أثر ذلك على الأعضاء،

(١) من بلاغة القرآن، ج١، ص٢٤٨.

فيُجدالون، ويُنكرون الوحي، ويُفكرون في قتل الأنبياء والرسل، وهذه القلوب هي القلوب المتكبرة.

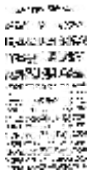

فيقول النسفي: " وإنما وصف القلب بالتكبر والتجبر لأنه منبعهما ". (١)

ويقول الصابوني: " أي كما ختم على قلوب هؤلاء المجادلين ، كذلك يختم بالضلال على قلب كل متكبر عن الإيمان، متجبر على العباد، حتى لا يعقل الرشاد، ولا يقبل الحق، وإنما وصف القلب بالتكبر والجبروت، لكونه مركزهما ومنبعهما، وهو سلطان الأعضاء، فمتى فسد فسدت ". (٢)

****

٧ــ قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ **[محمد: ٢٤]**

دلالة القلب في هذه الآية:

تتحدث الآية عن حال المنافقين، من الإفساد في الأرض، والكذب، والجبن عند مواجهة الأعداء، والخداع، وما فعلوا ذلك إلا لقسوة قلوبهم، وإغلاقها، وعدم تقبلها وتدبرها لآيات القرآن عند سماعه، ففيها الخير والموعظة والنصح والإرشاد، وطريق الهداية والنور، وهذه القلوب هي القلوب المغلقة.

يقول الدكتور محمد سيد طنطاوي: " ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ أي: بل على قلوب هؤلاء المنافقين أقفالها التى حالت بينهم وبين التدبر والتفكر، والأقفال: جمع قُفل – بضم فسكون – وهو الآلة التى تقفل بها الأبواب

(١) تفسير النسفي، ج٤، ص٧٤.

(٢) صفوة التفاسير، ج٣، ص١٥٢.

وما يشبهها، والمراد : التسجيل عليهم بأن قلوبهم مغلقة، لا يدخلها الإيمان ، ولا يخرج منها الكفر والنفاق". (١)

****

٨ــ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق:٣٧]

دلالة القلب في هذه الآية:

جاءت الآية للحديث عن حثِ الناس على أخذ العبرة والعظة، مما حدث للأمم السابقة، من هلاك وعذاب، حتى يؤمنوا بالله ويُوحدوه، ولكن الذي يتعظ ويعتبر مما حدث للأمم السابقة، هو الذي يملك قلبا واعيا، أي عقلا مدركا، يعرف الحق من الباطل، فيُؤمن بالله، ويُصدق رسوله في كل ما يُبلغه عن ربه، ولا يفعل ذلك إلا صاحب القلب العقول.

يقول ابن عادل في توضيح معنى القلب: " وقيل: قلبٌ واع؛ وذلك لأن من لا يتذكر كأنَّه لا قلب له، ومنه قوله تعالى : ﴿ أُولَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف:١٧٩] ، أي هم كالجماد، وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون:٤] أي لهم صُوَر ، وليس لهم قلب ، ولا لسانٌ للشُّكْر". (٢)

****

٩. قوله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾﴾ [النازعات:٨]

دلالة القلب في هذه الآية:

---

(١) التفسير الوسيط للطنطاوي، ج١، ص٣٨٩٥.

(٢) اللباب لابن عادل، ج١٨، ص٤٦.

جاءت الآية لتُصور حال المنكرين للبعث يوم القيامة، وهم في حالة من الخوف، والوجل، والقلق، والاضطراب، حتى تتحرك قلوبهم وترتجف من شدة خوفهم من البعث بعد الموت، إذ إنهم كفروا بالله وبرسوله، وأنكروا قدرة الله على إحياء الموتى من قبورهم، فلما بعثهم الله من قبورهم، ارتجفت قلوبهم، واضطربت من العقاب الذي ينتظرهم، وتلك هي القلوب الخائفة.

يقول البغوي: " ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨﴾ خائفة قلقة مضطربة ". (١)

******

****

****

(١) تفسير البغوي، ج٥، ص٢٠٦.

المبحث الثامن: دلالة الأرجل في ضوء القرآن الكريم

١ــ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١]

دلالة التعبير بضرب الأرجل:

جاءت الآية لإرشاد المؤمنات إلى طريق العفة، والحياء، والأدب، والوقار، فنهاهن عن ضرب الأرض بالأرجل، للفت نظر الرجال إليهن، فيسمعوا صوت الخلخال الذي كانت تلبسه المرأة في رجلها، فينتبه الرجال، ويُحدث إثارة للشهوات، فينظروا إلى مفاتنهن، وزينتهن، مما يؤدي إلى نشر الفواحش في المجتمع.

وقد جاء القرآن لينهي عن كل ما يثير الشهوة لدى الرجال، سواء بالقول، أو بالحركة، كالضرب بالأرجل الذي يدل على لفت الانتباه، وإثارة الشهوة.

يقول الدكتور محمد سيد طنطاوي مبينا دلالة التعبير بضرب الأرجل فيقول: " فالمقصود من الجملة الكريمة نهى المرأة المسلمة ، عن استعمال أي حركة أو فعل من شأنه إثارة الشهوة، والفتنة، كالمشية المتكلفة ، والتعطر الملفت للنظر ، وما إلى ذلك من ألوان التصنع الذى من شأنه تهييج الغرائز الجنسية". (١)

****

(١) التفسير الوسيط للطنطاوي، ج١، ص٣٠٧٤.

٢ــ قوله تعالى: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص:٢٥]

دلالة التعبير بالمشي على استحياء:

جاءت الآية للحديث عن ابنتي شعيب ــ عليه السلام ــ وما تمتعا به من الأدب والوقار، ويتجلى هذا الأدب عندما أرسل شعيب إحدى ابنتيه لموسى ــ عليه السلام ــ حتى يكافئه على ما قدم من مساعدة لابنتيه في سقي الإبل، فوصف القرآن مشية ابنة شعيب، التي تدل على الحياء، والخجل، فلم تتبختر في الطريق، ولم تضع الزينة والطيب حتى تُلفت الآخرين، ولكنها اتسمت بالحياء في مشيتها وصوتها.

لذلك يقول ابن عاشور مبينا دلالة التعبير بالمشي على استحياء: " والمعنى: أنها مستحيية في مشيها، أي تمشي غير متبخترة ولا متثنية ولا مظهرة زينة ". (١)

****

٣ــ قوله تعالى: " ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان:١٨]

دلالة التعبير بالمشي في الأرض:

جاءت الآية في سياق الحديث عن وصايا لقمان، ومن بينها حسن التعامل مع الناس، وعدم التكبر عليهم، فنهى ولده عن مشية وحركة

(١) التحرير والتنوير، ج٢٠، ص٤٢.

تدل على التكبر والتعالي على الناس، وهي مشية التبختر والتكبر والافتخار، واحتقار الآخرين.

فالتعبير بلفظ المشي كناية عن النهي عن التكبر والتعالي على الناس، والحث على التواضع واللين والرفق في التعامل مع الآخرين.

ويقول الشوكاني مبينا دلالة التعبير بالمشي: " ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾ أي خيلاء وفرحا، والمعنى النهي عن التكبر والتجبر، والمختال يمرح في مشيه". (١)

****

٤. قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾ [المُلك:١٥]

دلالة التعبير بمشي الأرجل في مناكب الأرض:

جاءت الآية للدلالة على قدرة الله تعالى، ووحدانيته، وذلك بتذليل وتسهيل المشي على الأرض، والسعي على الأرزاق، وقد عبَر القرآن عن السفر والسير في أرجاء وجوانب الأرض للعمل والسعي وتحصيل الأرزاق والمكاسب، بالمشي في المناكب، وهذا يدل على إعجاز القرآن وبلاغته.

لذلك يقول ابن كثير مبينا دلالة التعبير بالمشي في المناكب: " قَالَ تَعَالَى " ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ أَيْ فَسَافِرُوا حَيْثُ شِئْتُمْ مِنْ أَقْطَارِهَا وَتَرَدَّدُوا فِي أَقَالِيمِهَا وَأَرْجَائِهَا فِي أَنْوَاعِ الْمَكَاسِبِ

(١) فتح القدير، ج٤، ص٣٤٠.

وَالتِّجَارَات، وَاعْلَمُوا أَنَّ سَعْيكُمْ لَا يُجْدِي عَلَيْكُمْ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يُيَسِّرهُ اللَّه لَكُمْ". (١)

****

٥ــ قوله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم:١١]

قدلالة التعبير بالمشي بالنميمة :

جاءت الآيات لتبين صفات الكافرين، والتحذير منهم، ومن طاعتهم، ومن صفاتهم القبيحة، التي تُعبر عن نفوسهم السيئة، أنهم يسعون لإيذاء الآخرين وذلك بالإيقاع بين الناس بالنميمة.

وقد عبر القرآن عن هذه الصفة الذميمة بصورة حركية محسوسة، وهي لفظ المشي، وذلك للدلالة على نفوسهم الشريرة، التي تُحب الأذى للآخرين، فتسعى جاهدة، وبكل ما أُوتيت من قوة، للإيقاع بينهم، لذلك عبر بلفظ المشي، مما يدل على بلاغة القرآن الكريم.

فيقول ابن عاشور مبينا دلالة التعبير بلفظ المشي: " المشاء بالنميم: الذي ينم بين الناس، ووصفه بالمشاء للمبالغة، والقول في هذه المبالغة مثل القول في ﴿هَمَّازٍ﴾ وهذه رابعة المذام، والمشي: استعارة لتشويه حاله بأنه يتجشم المشقة لأجل النميمة.. ذلك أن أسماء الأشياء المحسوسة أشد وقعا في تصور السامع من أسماء المعقولات، فذكر المشي بالنميمة فيه تصوير لحال النمام".(٢)

****

(٢) تفسير ابن كثير، ج١٤، ص٧٥.

(١) التحرير والتنوير، ج٢٩، ص٦٨.

الخاتمة

من خلال معايشتي لهذا البحث، ودراستي لبعض الآيات التي تتعلق بأعضاء الجسد، توصلت إلى نتائج، أهمها ما يلي:

١ــ للقرآن الكريم طرق متنوعة، وأساليب عديدة، في توصيل المعنى للمخاطب، منها اللفظي، وغير اللفظي كأعضاء الجسد، مثل: تعبيرات الوجه، ودلالة التعبير بالوجه، واللسان، والعين، واليد، والقلب، والرجل.

٢ــ اهتمام القرآن اهتماما كبيرا بتوصيل المعاني، والحِكم، والمواعظ، والعبر، عن طريق أعضاء الجسد، وذلك من خلال آيات كثيرة في سور القرآن الكريم.

٣ــ كل عُضو من أعضاء الجسد، له دلالات كثيرة، ومعان عديدة، والذي يُحدد المعنى، السياق، والقرائن، والأحوال، والمواقف.

٤ــ أعضاء الجسد تُوصل المعنى بطريقة وصورة حسية، متحركة، مشاهدة، يراها المخاطب أمام عينية، فتكون أكثر تأثيرا في نفس وعقل المخاطب.

٥ــ أعضاء الجسد تُوصل المعنى بطريقة صامته، موجزة، فيها غُنية عن طول الكلام، وكثرة الألفاظ، والعبارات، وهذا من بلاغة القرآن الكريم.

٦ــ قد يحتاج الإنسان إلى التعبير عن طريق أعضاء الجسد، في بعض المواقف التي لا يتمكن فيها الإنسان من التلفظ بأي لفظ أو عبارة.

٧ــ التعبير عن طريق أعضاء الجسد، الذي استخدمه القرآن، يُسمى في العصر الحديث، بلُغة الجسد، أو التواصل غير اللفظي، وذلك في علم

التنمية البشرية، فيقوم الخطيب والداعية والمحاضر باستخدام أعضاء جسده، أثناء الكلام، لتوصيل المعنى إلى المخاطبين.

وأما أهم الاقتراحات التي أؤكد عليها، بعد دراستي لهذا الموضوع:

١ــ تدريس هذا الموضوع، وبيان أهميته، لطلاب الكليات الشرعية، الذين يتخرجون للعمل في مجال الخطابة، والتدريس، ويقفون أمام الجمهور، فيستخدموا تعبيرات الوجه، والعين، والإشارة باليد، لتوصيل المعاني إلى الجمهور، والطلاب، فيكون الحديث مشوقا، جاذبا للجمهور، أما إذا وقف صامتا فيكون مدعاة للملل عند مشاهديه ومستمعيه.

٢ــ تدريب الناس على فن التعبير غير اللفظي، حتى يكون لديهم ذكاء وفطنة، وخاصة بين الأزواج، فيعرفوا متى يتكلمون، وذلك في المواقف التي تحتاج إلى كلام، ومتى يصمتون فيعبرون بوجوههم وعيونهم، ويشيرون بأيديهم، وذلك في المواقف التي يتعذر على الإنسان النطق فيها، ويتم هذا التدريب من خلال برامج تلفزيونية، ومحاضرات تثقيفية.

قائمة المراجع

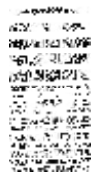

القرآن الكريم

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبو السعود)، المؤلف : محمد بن محمد العمادي أبو السعود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، المتوفى : ١٣٩٣هـ، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، المتوفى: ٦٨٥هـ، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.

٤. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٥. التحرير والتنوير للطاهر لابن عاشور، ط : دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧م.

٦. تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين، أبو عبدالله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الإلبيري، المعروف بابن أبي زمنين، مكتبة الفاروق الحديثة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٧. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، ط : دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٢ : ١٤٢٠هـ ، ت : سامي بن محمد سلامة .

٨. التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب، المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

٩. تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ، ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٠م .

١٠. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر : دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ.

١١. التفسير الواضح، المؤلف: الحجازي، محمد محمود، الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة: العاشرة – ١٤١٣ هـ.

١٢. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى.

١٣. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، المتوفى: ٦٧١هـ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة.

١٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف : محمود الألوسي أبو الفضل، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٥. زهرة التفاسير، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة ، المتوفى: ١٣٩٤هـ، دار النشر: دار الفكر العربي.

١٦. صفوة التفاسير، تأليف : سماحة الشيخ / محمد علي الصابوني ، الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة – جامعة الملك عبد العزيز ، دار الصابوني .

١٧. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي ، المتوفى: ٧٥٦ هـ، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية.

١٨. فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، المتوفى: ١٢٥٠هـ، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ ه.

١٩. الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (تفسير الكشاف)، لجار الله الزمخشري ، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ت : عبد الرزاق المهدي.

٢٠. لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، المتوفى: ٧٤١هـ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .

٢١. اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، المتوفى: ٧٧٥هـ، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض،

الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

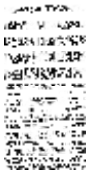

٢٢. لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي، المتوفى: ٧١١هـ، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

٢٣. لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.

٢٤. لطائف الإشارات، المؤلف : عبد الكريم بن هوازن القشيرى، تحقيق : إبراهيم بسيونى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.

٢٥. مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، المتوفى: ٧١٠هـ، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

٢٦. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، المؤلف: محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، المتوفى : ٥١٠هـ ، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٧. مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني، المؤلف: محمد بن أبي المحاسن محمود بن أبي الفتح محمد بن أبي شجاع أحمد الكرماني، أبو العلاء الحنفي، المتوفى: بعد ٥٦٣هـ، دراسة وتحقيق: عبد الكريم مصطفى مدلج، تقديم: الدكتور محسن عبد الحميد.

٢٨. مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)، للإمام العالم العلامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، ط : دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ : ١٤٢١هـ.

٢٩. من بلاغة القرآن، المؤلف: أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي، المتوفى: ١٣٨٤هـ، الناشر: نهضه مصر – القاهرة، عام النشر: ٢٠٠٥م.

٣٠. الْمُهَذَّبُ في عِلْمِ أُصُولِ الفِقْهِ الْمُقَارَنِ (تحريرٌ لمسائِلِه ودراستها دراسةً نظريَّةً تطبيقيَّةً)، المؤلف: عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، دار النشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م، ج٣، ص١٠٦٠.

٣١. الموسوعة القرآنية المتخصصة، المؤلف: مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، عام النشر: ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، المتوفى: ٨٨٥هـ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٣٣. النكت والعيون (تفسير الماوردي) ، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، المتوفى: ٤٥٠هـ، المحقق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان.

٣٤. وظيفة الصورة الفنية في القرآن، المؤلف: عبد السلام أحمد الراغب، الناشر: فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

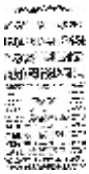

فهرس الموضوعات

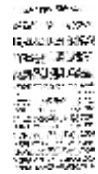

المقدمة
التقديم
المبحث الأول: دلالة الوجه في ضوء القرآن الكريم
المبحث الثاني: دلالة العين في ضوء القرآن الكريم
المبحث الثالث: دلالة الرأس في ضوء القرآن الكريم
المبحث الرابع: دلالة اللسان في ضوء القرآن الكريم
المبحث الخامس: دلالة اليد في ضوء القرآن الكريم
المبحث السادس: دلالة الأصابع في ضوء القرآن الكريم
المبحث السابع: دلالة القلوب في ضوء القرآن الكريم
المبحث الثامن: دلالة الأرجل في ضوء القرآن الكريم
الخاتمة
قائمة المراجع
فهرس الموضوعات